حفلة على الخازوق

محفوظ عبد الرحمن

الشخصيات

1 – مدير السجن –

لو أنك قابلته في الطريق أو جلست معه في سهرة، لوصفته بالغباء ... وهو حكم متسرع ... فهو ذكي جدا فيما يخص عمله، يعرف جيدا كيف يدفعك إلى الاعتراف بجريمة لم ترتكبها ... ستقول إنها خبرة العمل الطويلة ... وقد يكون هذا صحيحا ... ولكن المؤكد أن ذكاءه محفور في قناة واحدة ... ولا تنسى خبرته أيام أن كان طفلا فلقد نشأ في بيت أمه (نعيمة العوادة) وهي مغنية محدودة الموهبة فقيرة الحال. هذا الجو علمه الكثير ... ولكنه ظل عاجزا عن الوصول إلى الذكاء الاجتماعي أو الثقافي رغم دأبه العظيم ... لم يستطع أن يتخلص من سوقية لازمته من أيام الصبا، نصل أحيانا إلى حد الحيوانية. ضخم الجثة قوي البنية ... فهو عندما يدخل السجن يفكر بعضلاته ... لا يحب التعذيب ولا يكرهه ... هو بالنسبة له شيء عادي مثل الأعمال اليدوية

وكمدير يترفع عنه ... ولكنه لا يتصور أن الحياة تستمر دونه.

2 – المساعد –

تقابله في اليوم الواحد عدة مرات ... فهو مث ل الأميب ا قادر على الانقسام ... مثل العصفور سريع الحركة ... ذكي جدا، ذلك الذكاء السطحي الح اد ... ف ي لحظ ة يعرف ماذا تريد ... وه و ج اهز دائم ا ... يدغ دغ رغباتك ويرفع أي شعار يرضيك ... موهبته الحقيقية في أن يتلون في كل إناء ... وتظن دائما أنك قد وقعت على الرجل المناسب، انه يقوم بأعمالك ب أرخص الأس عار، وينافقك دون مقابل ويقفز كالبهلوان حتى تبتسم، انه التابع الطائع. ومع ذلك فأنت لن تنتبه إلى أن ه س يطر عل ى داخلك وبدأ يسيرك ويحركك وهو لا يفعل ذلك لص الحه بمعنى الكلمة. إنما يفعله لما يت وهم أن ه ص الحك ... عنكبوت تقع في شباكه ولا تستطيع الهرب. تعرف أن ه دنيء ولا تستطيع طرده لأنك اعتمدت عليه في أعمال لا يستطيع غيره القيام بها.

ولكل رجل هام (مساعد) – مدير السجن له مساعد ... والمحتسب له كاتب والوزير له وزير ... تختلف التسميات والشخص هو نفس الشخص ... يجري ويجري حتى يسقط ميتا في الخمسين ولكن بعد أن ينجب عشرة مساعدين يصبحون ضباط صف الدولة.

3 – الجندي –

قد تقابله وتجالسه، وتتحدث معه ... لكنه لو غير ملابسه الرسمية لن تتعرف عليه.

4 – حسن –

أعرف حسن منذ وقت طويل، أحبه كثيرا ... فهو شاب طيب القلب لطيف المعشر. ولكنني لم أتصور لحظة واحدة أن يكون بطلا لقصة ولا حسن خطرت على باله هذه الفكرة الشيطانية فهو مثل ملايين غيره يولدون دون ضجة ... ويعملون دون بريق، ويموتون وسط قطرات من الدموع ... ثم لا يجد أبناؤهم ما يتحدثون به عنهم إلا قصصا يراها المستمعون تافهة، ويدرك الأبناء أنفسهم هذه الحقيقة بعد حين. حسن واحد من ملايين هم ملح

الأرض ... والملح ضروري وهام ولكن لا قيمة له فـ ـي حد ذاته. لم يتعلم ليعرف ... ولكنه مع ذلك يعرف بحسه وبديهته وتلقائيته. رغم أن حسن سيذهل إذا رأى اسـ ـمه مكتوبا في مكان ما وسيصعق لو أن اسمه موجـ ـود فـ ـي قصة إلا أنه في رأيي بطل ... ليس الجندي المجهول بل الجندي المظلوم انه يقتل بكل جوارحـ ـه وإذا نجـ ـا مـ ـن الموت يقف سعيدا في الصف وضابطه ينال الوسـ ـام ... لا تقولوا إنه يفتقر إلى الطموح أو إنه كسـ ـول ... فهـ ـو يبذل جهدا خارقا من أجل أن يزرع ظلـ ـه بـ ـالخير ولأن الأرض كبيرة جدا ولأن الكون هائل جدا ... فـ ـلا أحـ ـد يقدر عمله.

5 – هند –

أنثى ... ليس بمعنى تلك الكلمة التي نستخدمها كثيرا ... لكن بمعنى خاص ... أنثى كالأرض تعطي بـ ـلا حـ ـدود وتأخذ كل شيء ... أنثى ضارية تذود عن نفسها بأظافر حادة ... أنثى تريد فلا شيء يقف في طريقها. بعـ ـد أن مات زوجها الذي لا نعرف عنه شيئا عاشت راهبة فـ ـي بيتها النائي ... ليست ملاكا حتى تعيش بهـ ـذه الطريقـ ـة

لكنها لم تكن تريد أن تعطي قلبها إلا للرجل الذي تحب ه ... والغريب أنها وجدت في حسن هذا الرجل. رغم فقره ورغم انه لا يمتلك شيئا يتميز به عن غيره من الن اس. هند نفسها لا تعرف سبب اختياره في مثل هذه الأمور لا تفكر بل تحس ... أتوهم أنها أدركت بأنوثتها أن حس ن وحده هو القادر على أن يأخذ الحب ويعطيه ... في حين أن بقية الرجال الذين أحاطوا بها أغوات وخص يان ... بخلاء وطامعون، حاقدون ومزيفون. قصة حسن وهن د هي – من وجهة نظر ما – ه ي قص ة ق يس وليل ى وروميو وجوليت لولا أنهما لم يقولا شعرا، ولم يجدا من يكتب قصتهما ... ولم يخطر على بال أحدهما أن تصبح قصة حبهما شيئا يكرره الناس ... إنها قصة بسيطة جدا، لم تتعقد لحسن الحظ بترديدها بين الشعراء.

مواقف هند البطولية دفاعا عن حسن ليست م ن وجه ة نظرها مواقف بطولية ... إنها مواق ف الأنث ى – الأم. فهي لا تمنح حسن حبها كامرأة فقط بل عواطفه ا ك أم أيضا. هند جميلة ولكنها أقل الناس إحساسا بهذا الجمال. إنها تسير به كما لو كان شيئا طبيعيا ... وربم ا كان ت

جميلة بمقياس العصر ... بيضـ ـاء وممتلئـ ـة. وإلا لم ـا أدارت الرؤوس. ولكن أهم سمة في جمالها أنهـ ـا كانـ ـت تملك شخصية قوية أحبوا فيها هـ ـذه الشخصـ ـية دون أن يدركوا.

6 – المحتسب –

وظيفته ابتدعت في عصر متأخر وأحيانا لم تكـ ـن لهـ ـا حدود متفق عليها ... فكان يتـ ـولى سـ ـلطات قضـ ـائية وبوليسية وعادة كان يمثل أخلاقيات المجتمع في محاولة منع الفساد والربا والغش ... وصديقنا المحتسب رجـ ـل لطيف المعشر، عليم بمعارف عصره قرأ حتى يئس ... انتقل في حياته بثلاث مراحل ... كان في الأولى نموذجا للوطن وفي الثانية نموذجا للانتهازية وفي الثالثة نموذجا للحكمة ... والحكمة لديه تعني أن ينال كل شر، دون أن يغضب أحدا لا الحكـ ـام ولا النـ ـاس ... مثـ ـال للريـ ـاء الاجتماعي ... يحرص على الصلاة في الأماكن العامة . خاصة – شديد في الحق، يرفض تنفيذ الأوامر التي تظلم الناس بين الفينة والفينة ... كثير الكلام عن الحق والعدل والأخلاق ... لكنه في بيته سكير عربيـ ـد ... يشـ ـتهي

النساء رغم شيخوخته. ولأنه يحب إعطاء الأشياء شكلها الشرعي فهو لا يواصل النسـاء إلا بـالزواج ... زواج بالليل وطلاق بالنهار ... يأخذ كل شـيء آخـر بـنفس الطريقة: بالشرعية ولو أن العمر امتد به إلـى عصـرنا هذا لكان من رجال الدساتير.

7 – فتحي القطاع –

لص وقاتل ... ومع ذلك فأنا أرثى لـه ... لقـد كـان (متسلطنا) على الجبل يـأمر وينهـي ويكنـز الأمـوال المسروقة وبدا أن الدنيا كلها ستكون في جيبه ذات يـوم لولا حادث صغير قلب كل شيء ... لقد جلس مرة يتأمل الجبل فرآه جميلا وعندئذ حدثت الكارثة لقد حلم وفكـر ولما كان التفكير هو آثم آثامه والذنب الذي لا يغفر لـه فلقد ضاع فتحي نهائيا منذ تلك اللحظة وتحولـت متعـة اللص إلى عذاب الشهداء.

ورغم أن فتحي مر على قصتنا مرورا عـابرا. إلا أنـه بالتأكيد له قصة أخرى ... ربما عاد إلى الجبـل ليقـيم العدل. وربما تحول إلى متصوف وربما أصـبح أفاق ا

يلعب بمشاعر الناس ومصالحهم ... مسكين قضي عليه الحلم والتفكير.

8 – الوزير –

الوزير يستحم كل يوم ثلاث مرات بانتظام شديد ... ويتزين قبل خروجه إلى الديوان حتى ولو كان العدو على أبواب المدينة ... ولذلك فهو يبدو دائما محترما ... تعلم من أبيه أن الهيبة والنفوذ لا يأتيان من الأعمال الكبيرة بل من المظاهر الصغيرة ... واثق جدا من نفسه وحتى عندما يقبض عليه في النهاية يعرف جيدا انه سيعود مرة أخرى وزيرا لنفس الوالي أو لوال آخر ... رغم انك مؤمن أنه فارغ وتافه إلا انك عندما تقابله تؤكد له أنه عالم ومثقف وعادل ... وأنت لست منافقا. لأنه قادر بسحر خاص على أن ينقل لك هذا الإحساس لكنه إحساس لا يستمر إنه كالهواء لا يترك أثرا.

9 – جوهر –

النخاس ... قناع لا يخفي شيئا. انه ينسج الكلمات الحلوة وهو يعرف أنك لن تصدقها ولا يريدك أن تصدقها. إنه

يبيعك جواريه ويعرف أن جسد الجارية هو ما يجعلك تشتري وبقية الأشياء ليست إلا مجرد حلى لا قيمة لها ... البيع والشراء في دمائه لكونه يختلف عن أي تاجر آخر في أنه مستعد أن يبيع نفسه. تكاد أن تشم له رائحة كريهة على البعد. يعرف ذلك ولكنه يقترب منك في لزوجة.

10 – الجواري –

رغم الصمت إلا أنهن يقلن الكثير ... لسن مجرد نساء للمتعة كل واحدة تعرف أنها على قيد خطوة من حكم البلاد. ليست شهوة الحكم أو الثروة فقط ما تدفعها. قد تكون قد تدربت وقتا طويلا من أجل هذه اللحظة، وقد لا يعرف جوهر هذا، ولكنه لو عرف لما اهتم. في عين الواحدة توسل غامض للوزير أن يشتريها وأحلام في رأسها بنفوذ هائل أو دمار البلاد أو الحلمين معا.

11 – الوالي –

يعطي إحساسا بالأمان طيب القلب محب للخير ولكن مشكلته تبدأ من تعوده على الكرسي الذي يجلس عليه،

حدد ذكاءه وجعله يسير في قناة واحدة ... قتل فيه حـ ـب المغامرة وفكرة التغيير. أعظم سلبي في قصتنا ... ولـ ـو أننا كنا أكثر قدرة لبينّا ما في نفسه من تناقض حب الخير والعجز عنه، انه من ذلك الصنف الذي لا تحكي الأجيال عنه شيئا إلا بالخير ولا بالشر ومع ذلك فلو أنك دقق ـت في كتب التاريخ فستجد اسمه مكتوبا.

الفصل الأول

وفيه وصف لنكبة حسن المراكبي نتيجة
سيره خالي البال وبيان العظة من شرور السعادة
والأمانة ... والعياذ بالله

المشهد الأول

(غرفة مدير السجن ... غرفة أنيقة بسيطة لكنها كئيب ة ... مكتب ضخم كراسي ضخمة قليلة جدا ... باب واحد إلى يسار المسرح. لوحة ضخمة معل ق عليه ا بع ض القيود بطريقة تشكيلية في الركن آلة تعذيب ضخمة على الجدار بعض السياط الضخمة في تناسق. مدير الس جن ضخم الجثة. قاسي. محدود الذكاء. لكنه ماهر جدا ف ي عمله. مساعده على عكسه. ضئيل الجسم، سريع الحركة ذكي لماح. الإضاءة خافتة وغير مباشرة مما يزيد م ن كآبة المكان)

المساعد – ولا نظرة يا سعادة المدير؟

المدير – ولا نظرة

المساعد – ولا نظرة واحدة.

المدير – ولا حتى من طرف عينه

المساعد – غريب

المدير – انتهى الاحتفال كله. صنعت ضجة لم يس بق له ا مثيل ... ضربت عش رات م ن الن اس ال واقفين

ليفسحوا طريقا للموكب ... صرخت فيهم ... وفـ ـي أذن الوالي أيضا لكن عينه لم تطرف.

المساعد – دسيسة ولا شك ...

المدير – من النوع القاتل (حزينا) بالأمس حلمـ ـت أنـ ـي معلق على سور المدينة من قدمي ... صرخت فـ ـي الحلم، حتى أن ... زوجتي استيقظت.

المساعد – لا تهتم ... سور المدينة لأعدائك إن شاء الله

المدير – لا يكفيهم فهو لا يزيد عن ألف فرسخ ...

المساعد – لا تكن متشائما ... هل نسيت كم علقنا منهم حتى الآن؟

المدير – إنهم يتزايدون كالسرطان ... قل لي لماذا يتكاثرون هكذا؟ ولماذا يكرهونني؟

المساعد – هذا بديهي فأنت مدير السجن ... والناس في كل مكان وزمان أعداء لمدير السجن ظاهرة غريبـ ـة لا تفسير لها ... دليل على عقوق الإنسان ...

المدير – عداؤهم لا يهمني ... رضا الوالي ما يهمني

المساعد – سيرضى

المدير – بين لي ما تفكر فيه

المساعد – ألست واثقا فيّ؟

المدير – أنا لا أثق في أمي ... لكني أثق فيك ... وهل أنسى ملاعيبك؟ طالما مشينا على الحبل سويا

المساعد – (باسما) يقطع الحبل.

المدير – (باسما) ونحن لا نقع. (يضحكان في حدة)

المساعد – إذن ... اطمئن

المدير – لا أطمئن يجب أنأافهم ...

المساعد – اسألني عن أهم شيء بالنسبة لي؟

المدير – (مستنكرًا) هل نحن أطفال يلعبون ...

المساعد – اسأل ... سنصل إلى ما نريد ...

المدير – (ساخطا) سألتك ...

المساعد – الإجابة: عمري ... حياتي ...

المدير – طبعا ...

المساعد – السؤال لك أيضا: ما هو أهم شيء بالنسبة لك؟

المدير – وهل هذا يحتاج إلى سؤال ... حياتي طبعا ...

المساعد – رائع ... لو سألت الوالي سيقول لك نفس الإجابة

المدير – لست أفهم (متردد) أو ربما على وشك أن أفهم ...

المساعد – لو أقنعنا الوالي أن هناك خطرا على حياته ... سنكسبه إلى صفنا (بلهجة ذات مغزى) أليس كذلك؟

(المدير يفكر وينظر إلى المساعد وينفجران في الضحك في تفاهم)

المدير – أنت إبليس

المساعد – تلميذك يا سعادة المدير

المدير – أحيانا أتساءل لماذا لم تصبح سلطان الدنيا كلها، ما دمت تملك هذا القدر من الـ . ... من الخبث ...

المساعد – لو كان للدنيا سلطان واحد لأصبحت أنت يا سيدي ... فالناس فئتان فئة تتسلطن وفئة تخدم السلاطين ... وأنا منهم ...

المدير – (مفكرا) لكن هل من السهل أن نجد ذلك الكبش؟

المساعد – أي كبش؟

المدير – كبش الفداء

المساعد – إنهم يملأون الأسواق والطرقات.

المدير – قد يرفض ...

المساعد – وهل تتصور أن واحدا من هؤلاء الذين يعيشون عيشة أفضل منها الموت يرضى أن يضحي بحياته ولو من أجل مولاي المدير؟ لابد أن يقاوم طبعا.

المدير – إذن سيتعبنا

المساعد – كلهم يتعبوننا ... ولكنهم في النهاية يموتون ... إما بالمشنقة أو بالخازوق أو (خافتا) بالسكتة القلبية وطبيب السجن خبير بالتقارير عن مثل هذه الحالة ...

(ضجة في الخارج. صوت حسن: هذا ظلم اتركني ماذا فعلت؟ المدير ومساعده كل منهما ينظر إلى الآخر)

المساعد – الكبش وصل

المدير – هيه ... لنبدأ العمل ... آه لو عرف الناس كم نكد في عملنا

(يدخل جندي قابضاً على حسن)

حسن – (يتأمل المكان بذعر) ماذا حدث؟

الجندي – اخرس يا متهم.

حسن – متهم؟ متهم بأي شيء؟

المساعد – (يشير إلى حسن بالصمت) هش ...

حسن – هش إيه أفهموني الحكاية ...

المساعد – (للعسكري) ألم تجد غير هذا المشاغب

الجندي – اليوم الجمعة ... أجازة ... لم نجد سواه يسير إلى جوار قصر الوالي. والله لقد بذلت جهدي يا سعادة المساعد ...

حسن – أفهم ... أفهم ... أريد أن أفهم

المدير – (للمساعد) إنه خطير جدا إنه يريد أن يفهم هل وصل الناس إلى هذا المستوى؟ في زماننا لم يكن أحد يجرؤ على أن يفهم ...

المساعد – كلهم هكذا في البداية ... هل تجهلهم؟

حسن – أنا بريء ... نظيف ... في حياتي لم أسرق ولم أختلس ولم أعمل في الجباية.

المدير – (للمساعد) لا ... لا ... إنه يثير ضجيجا

حسن – لو كان فيكم رجل ... رجل بمعنى الكلمة ... فليقل لي ماذا فعلت؟

المساعد – (للجندي) يا غبي ... ألم أقل لك أن تأتي برجل طيب ... شريف هادئ.

حسن – أنا الرجل الشريف الطيب الهادئ ... ولكن لماذا تأتون بي إلى هنا؟

المدير – (للجندي) يا بني ... هل تنقصنا الفضائح حتى تضيف لنا فضيحة جديدة. أتيت لنا بدلال من السوق.

حسن – كلموني أنا ... أنا الذي أصرخ.

المدير – ولماذا تصرخ؟

حسن – لأنني بريء.

المدير – (بدهشة) وهل قال لك أحد إنك لست بريئا لا سمح الله.

حسن – إذن لماذا أنا هنا؟

المساعد – هذا ليس عملك.

حسن – الله ... إذا لم يكن عملي فعمل من هو؟

المدير – وظيفتنا التي نأخذ عليها راتبا في آخر الشهر، أدامه الله.

حسن – منحكم الله الصحة والعافية ... وبارك لكم في أموالكم وذريتكم وراتب آخر الشهر ... أنا لم أفعل خطأ واحدا في حياتي ... أنا أحترم القانون، وأخاف

من العسكر وفي حياتي لم أر بعيني سنجقا واحدا ...
فلماذا تأتون بي إلى السجن.

المدير – اهدأ.

حسن – وكيف أهدأ وأنا في هذا المكان؟

المدير – كن مؤدبا يا رجل ... هل أنت أحسن منا؟ كلنا هنا وهادئون والحمد لله.

حسن – أنتم هادئون لأنكم موظفون.

المدير – وأنت أيضا.

حسن – (بدهشة) أنا؟ أنا ماذا؟

المدير – نريد توظيفك هنا.

المساعد – (للعسكري) اذهب جهز مكانا لـ لأخ ... انتـ ق مكانا طيبا. واجب علينا إراحة الزملاء الجدد

الجندي – حالا يا سعادة المساعد (العسكري يخرج).

حسن – تريدون توظيف شخص فتأتوا به هكذا (يمثل كيف أتي به الجندي).

المدير – غلطة.

المساعد – غلطة الجندي ...

حسن – غلطة؟ على أي حال أنا لا أحب أن أشتغل هنا

المدير – لماذا؟

حسن – لا أحب أن أعمل في مكان أكرهه.

المدير – غبي ... هذا هو أول شرط من شروط النجاح هل رأيت موظفا يحب عمله ويترقى؟ أبدا دائما يترق ى الموظفون الذين لا يحبون عملهم.

حسن – يا سعادة المدير ... يا سـ عادة المسـ ـاعد ... أن ا مراكبي ... يعني أحب الحرية ... لا أحب السـ جن ... أحب أن أترك لسفينتي العنان يأخذها الموج إلى حيث يريد، وتحركها الرياح إلى حيث تشاء ... لـ و كان الأمر بيدي لفتحت أبواب السجون ... فلا شيء في الدنيا يستحق أن يسلب الإنسان من أجله أعز ما يملك ... حريته. لو كان الأمر بيدي لكسـ رت كـ ل الأقفاص وتركت العصافير تطير.

المساعد – كلامك هذا في حد ذاته تهمة خطيرة. معناه أنـ ك تدعو لإلغاء الضمانات وتغيير القوانين الاجتماعيـ ـة السائدة هذا الكلام كاف لشنقك ثلاث مـ رات علـ ى الأقل ... (للمدير) سأطلب الجندي.

المدير – انتظر ... لا تتعجل هكذا ... الرجل متف اهم ... يجب أن نكون عادلين معه (لحسـ ن) كـ ان مـ ن الممكن أن ندفعك إلى السجن الآن. ولا من شاف ولا من عرف. لكنا لسنا من هذا الصـ نف. نحـ ن قـ وم متحضرون ... فكرة السجن للسجن انتهت ... الآن واجب علينا توعية السجين ... السجن أصبح رسالة اجتماعية جليلة.

حسن – (محتجا) لكنني لست سجينا ... أنت نفسك قلـ ت هذا (للمساعد) أنت شاهد لقد قال إنه يريد توظيفي.

المساعد – (يبتسم ساخرا)

حسن – نصف العمى ولا العمى كله ...

المساعد – لا تكن حرفيا ... كن مرنا.

حسن – مرن والله وشاطر ولماح ... لكنني لا أفهم شيئا مما يدور حولي.

المدير – (للمساعد) متعاون جدا

المساعد – (للمدير) ولطيف

المدير – وظريف

المساعد – ومطيع

المدير – وهادئ

المساعد – وابن ناس طيبين

المدير – ونحن على خطأ ...

المساعد – وأي خطأ ...

المدير – خطأ كبير ...

المساعد – كبير جدا.

المساعد – من حقه أن يغضب منا ...

المساعد – معقول جدا ألا يفهم ما نقصده.

المدير – طبعا ... كان واجبا أن نشرح له الحكاية

المساعد – إخص علينا ... نسينا أن نفهمه الحكاية

المدير – (لحسن) معذرة يا بني

المساعد – (لحسن) معذرة يا أخ

المدير – اقعد يا ابني ... استرح

حسن – (بعنف) لا ...

المدير – (بدهشة) أقعد؟

حسن – (بعنف أشد) لا

المدير – (بدهشة) لماذا لا تريد الجلوس؟

حسن – عندما يطلب مدير السجن من إنسان أن يجلس ويستريح، فلابد أنه يريد منه شيئا أكبر من حريته ... بل ومن ... عنقه.

المدير – أنت حر (للمساعد) دعنا منه وهيا بنا إلى العمل.

المساعد – (بعد أن يخرج قلما وورقة) س: ما اسمك؟

حسن – ج: أنا موظف أم سجين؟

المدير – (ثائرا) الله يخرب بيوتكم ... وهل هناك فرق؟ أنا هنا لا أغادر هذه الجدران أسابيع كاملة ... إذن أنا مسجون ... وتحت في زنزانة رقم واحد مسجون ينام على ريش النعام ويأكل الفالوذج والبالوظة وعيش السرايا ويتعطر بعطور سمرقند ... ويتزوج مرة كل أسبوع لماذا؟ لأنه مهرج الوالي ... هل هذا يعتبر سجينا؟ ...

حسن – (بدهشة) ولماذا يسجن الوالي مهرجه؟

المدير – (غاضبا) يا حيوان ما لك والسياسة.

حسن – آسف يا سعادة المدير ... كان مجرد سؤال

المساعد – س: ما هو اسمك؟

حسن – حسن ...

المدير – (ساخرا) ما شاء الله ... الشد اطر حسد ن بد ن شهبندر التجار.

حسن – لا ... لا ... حسن عبد الله.

المساعد – واسم العائلة؟

حسن – محمد ...

المدير – أنت من عائلة محمد ... لماذا إذن تثير ضد جة ... عائلة محمد كلها ذ اس طيبد ون يسد معون الكد لام ويطيعون الأوامر ... كل الزبائن لدينا مد ن عائلد ة محمد.

المساعد – السن ...؟

حسن – لا أعرف على حساب أمي رحمهد ا الله 25 سد نة وعلى حساب أبي رحمه الله 30 و ...

المساعد – (مقاطعا) 35.

حسن – لا مانع يا سعادة المساعد ...

المساعد – س: من هم شركاؤك في الهجد وم علد ى قصد ر الوالي؟

حسن – (بفزع) يا نهار أسود ... الهجوم؟ الوالي أنا؟ ماذا تقولون؟ قولوا كلاما معقولا قولوا كلاما يذهب بد ي

إلى السجن ... أما الـ . ... إنه خازوق على الأقـ ـل ... لماذا؟ هل فعلت لكم شيئا؟ هجوم ... والـ ـي ... قصر.

المدير – اهدأ ... اهدأ ... من أين أتى بك الجندي؟

حسن – من عند قصر الـ . ... لكن أنا

المدير – (مقاطعا) من عند القصر وعلى وجه التحديد من عند باب القصر ... أليس كذلك؟

المساعد – (للمدير) المهم الاعتراف ... التهمة ثابتـ ـة يـ ـا سعادة المدير ولا يفيد الإنكار.

حسن – تهمة؟ ثابتة؟ أية تهمة؟

المساعد – التجول حول قصر الوالي مع سـ ـبق الإصـ ـرار والترصد.

حسن – وهل هذه جريمة؟

المدير – وأي جريمة يا سيد حسن ...

حسن – يا ناس ... لقد كنت أريد أن أبلـ ـغ الـ ـوالي رسـ ـالة (يبدو الاهتمام الشديد على المدير والمساعد).

المدير – رسالة؟

حسن – رؤيا.

المدير – (للمساعد) اكتب عندك وادعى المتهم الجنون.

المساعد – (حسن) كلمنا يا أخي عن الرؤيـ ـا ... كلامـ ـك سيفيدنا إن شاء الله.

حسن – شفت في الحلم أنني في أرض واسعة خضراء على شاطئها بحر أزرق بلا نهاية ... كان الجـ ـو جمـ ـيلا ... ربيع ... الشمس طالعة من الشرق ... دافئة ... نظرت إلى الشمس فأنا أحبها وكل إنسان حر فيمـ ـا يحب ... كان حولها سحاب يتسابق (تتغير لهجتـ ـه من الحلم إلى الفزع) لكن السحاب لم يكن سحابا ... بدأ يتغير ... شيء فظيع ... كان جرادا ... أصبح جرادا ... جراد كثير ... كثير جدا ... نزل علـ ـى الزرع الأخضر أكله ... أكل كل شيء. كل شـ ـيء حتى الإنسان ... جعـ ـل الأرض كلهـ ـا خرابـ ـا ... صرخت ... أدركوا الـ ـزرع الأخضـ ـر، أدركـ ـوا الإنسان ظللت أصرخ حتى استيقظت.

المدير – ثم؟

حسن – قلت لنفسي إنه من واجبي أن أحكي هـ ـذه الرؤيـ ـا للوالي.

ولم الوالي بالذات؟

حسن – صوت داخلي أكد لي أن أحدا لن يستطيع

المساعد – شيئا سوى الوالي.

المدير – صوت من؟

حسن – لا أعرف؟

المدير – لا يا حبيبي ... لا تحاول التغطية على شركائك.

المساعد – غريبة حكاية الجراد هذه.

حسن – رغم أن الدنيا مليئة بالفظائع إلا أنه أسوؤها جميعا، ليس فقط لأنه يسرق طعام الناس ولكن أيضا لأنه يسرق آمالهم.

المدير – س: هل لك علاقة بهذا الجراد؟

حسن – (بدهشة شديدة) علاقة بالجراد؟ انه حلم مجرد حلم.

المدير – وإذا كان مجرد حلم يا فالح، لماذا تريد إزعاج الوالي به؟

حسن – ليس لدي إجابة على هذا السؤال ... فقد وجدت نفسي (مندفعا) إليه دون أن أدري.

المدير – (للمساعد) (مندفعا) انتبه لهـ ذه الكلمـ ـة جيـ ـدا (مندفعا).

المساعد – أنها واضحة ... قال بلسانه (مندفعا)

المدير – لقد ذهب (مندفعا) وما أدراك ما (مندفعا).

المساعد – هذه الكلمة حسمت القضية ...

حسن – إنني لا أفهم يا سـ ـادتي ... (المـ ـدير والمسـ ـاعد يتجاهلانه)

المساعد – التهمة ثابتة ...

المدير – جدا (مندفعا)

المساعد – الخطوة التالية هي معرفة ما وراء القضية ...

المدير – نكشف عن تاريخه ... أكيد ارتكب شيئا مـ ـا مـ ـن قبل. لابد أنه كان (مندفعا) من قبل.

المساعد – وإذا لم يكن قد ارتكب شيئا ... فلابد أن أباه قـ ـد ارتكب ... أو أخاه ... عمه ... خالته.

المدير – يخيل لي أن جده كان متهما في محاولة قتـ ـل جـ ـد الوالي ...

المساعد – الأضابير كلها موجودة ... وسنعرف كل شيء.

المدير – جهز لي القضية وسأذهب بها إلى الوالي فورا.

المساعد – اهدأ ...

المدير – هل العباءة جاهزة؟

المساعد – اهدأ ...

المدير – ولم اهدأ؟ إنها قضية جاهزة ... ألم يكن هذا الولـ ـد (مندفعا).

المساعد – نسيت القاضي؟

المدير – وما دخله بالأمر ...

المساعد – الوالي سيحول له القضية والمتهم لم يقتنـ ـع بعـ ـد بالتهمة ...

المدير – (صارخا في حسن) يا ابني اقتنع وخلصنا ...

حسن – اقتنع بماذا؟

المساعد – كن متعاونا لا تخيب ظننا فيك.

حسن – متعاون والله ... لكن المطلوب صعب جدا ...

المساعد – (بود) اسمع يا حسن بصراحة أنت مكلف بمهمة وطنية كبيرة ... كبيرة جدا ...

حسن – (بدهشة) أنا؟

المدير – نعم يا بني أنت ... القدر اختارك أنت بالذات لمهمة تاريخية عظيمة.

حسن – لا أفهم ...

المساعد – الوالي ...

حسن – ما له؟

المساعد – هناك خطر عليه ...

حسن – وهذا تفسير الحلم ...

المدير – نحن نعرف ... لكننا لم نرد التصريح لك ...

المساعد – المشكلة أن الوالي غير مقتنع ...

حسن – بسيطة ... قولوا له كل شيء ...

المدير – قلنا ... ولكنه لا يصدق ...

حسن – قدموا له الدليل ...

المدير – المصيبة أن ليس في يدنا أدلة ...

المساعد – أنت الدليل يا حسن

حسن – أنا؟

المدير – لو اعترفت سيثق الوالي في كلامنا.

حسن – اعترف بأي شيء؟

المساعد – اعترف فقط، ونحن علينا الباقي ... سنلقنك م ا تقوله.

المدير – بسيطة جدا ... تسجل أقوالك في التحقيقات فتقـ دم الاعترافات – دار بكل العمل ... نحن نتبع أحـ داث الوسائل الصحيحة في شعبة الاعترافات.

حسن – ثم ...

المدير – فقط شيء بسيط جدا كما ترى.

حسن – (صارخا في غضب) يا أولاد الثعالـ ـب تريـ ـدون إجلاسي على الخازوق.

المدير – (صارخا) لماذا تصرخ هكذا؟ أنت حيوان لا تفهم شيئا ...

المساعد – (للمدير) إنه نموذج كامل للغبـ ـاء يـ ـا سـ ـعادة المدير.

المدير – (للمساعد) أنت المسئول قلت لك ألـ ـف مـ ـرة إن حسن عبد الله لا ينفعنا وأنت تؤكد لـ ـي انـ ـه مثـ ـال الإخلاص والتضحية ... عائلة محمد هذه لا نفع فيها ...

المساعد – آسف يا سعادة المـ ـدير ... لكـ ـل جـ ـواد كبـ ـوة (لحسن) أهكذا تكسفني مع سعادة المدير؟ (بلين) هل تتصور يا حسن أننـ ـا سـ ـنتركك تجلـ ـس علـ ـى

الخازوق ... غبي عبي والله ... قبل أن يحدث هذا نكون قد هربناك.

المدير – أنا لا أنسى رجالي أبدا ... إخلاصهم دائما محل تقديري واهتمامي.

حسن – أهرب؟ كيف؟ أهرب وأنا أحمل على كتفي تهمة مثل هذه التهمة سأكون في نظر الناس خائنا.

المدير – إذا لم نتعاون معنا ستكون خائنا ... أنسيت (مندفعا).

حسن – هل أنا محكوم عليّ دون أن أفعل شيئا.

المساعد – تهانيّ يا حسن ... لقد بدأت تفهم، ظهرت عليك علامات الذكاء.

المدير – ليس مهما ما فعلت ... المهم ماذا أنت الآن ...

حسن – يا سلام ...

المدير – لا اختيار ...

حسن – هكذا خائن ... وهكذا خائن

المساعد – لا طريق أمامك سوى التعاون معنا كي ننقذك.

حسن – (كما لو كان يكلم نفسه) مستحيل ... إما الموت أو الموت ...

المدير – فكر يا حسن.

حسن – (مستمرا) إما الخازوق أو الخازوق.

المساعد – مصلحتك يا حسن ...

حسن – إما الخيانة أو الخيانة.

المدير – سننقذك يا حسن ...

حسن – هنا لا حل ... وهناك لا حل (منفجرا) لا ... لا ... وألف لا ... وهاتوا ألف خازوق ...

المشهد الثانـي

(المسرح مقسم إلى جزءين: غرفة السـ جن حيـ ث حسن وممر أمام الغرفة يشبهه في الكآبة عندما يرفع الستار يكون الجندي داخلا ليتحدث مع حسن).

الجندي – يخرب بيتك ... حظك من السماء ...

حسن – صحيح

الجندي – لابد أن والديك كانا من الصالحين ودعيا لك كثيرا.

حسن – أنا؟

الجندي – طبعا

حسن – ولماذا يا حضرة الجندي هل وجدوا لـ ي خازوقـ ا حنونا يقتل دون ألم

الجندي – لا

حسن – لابد أنهم وجدوا دليلا ضدي

الجندي – ليس بعد

حسن – إذن لماذا تحسدني يا هذا؟

الجندي – (بعصبية مضحكة) لك زيارة

حسن – (بدهشة) زيارة ... زيارة لي أنا؟

الجندي – لسوء الحظ ليست لي أنا ...

حسن – يا سيدي اتكل على الله ... أنا كاللقيط بالضـ بط ...
لا أهل لي

الجندي – (بنفس العصبية) زيارة يا حسن

حسن – الله ... لماذا ترقص هكذا ...؟

الجندي – (جادا) اخرس يا مسجون ... الحكومة لا ترقص
أبدا ...

حسن – هل هذا معقول أريد أن أدخـ ل قصـ ر الـ والي ...
فيأتون بي إلى السجن لاكتشف أني في البيمارسـ تان
حكمتك يا رب. (هند تدخل).

الجندي – (بنفس العصبية) الزيارة.

حسن – (بدهشة شديدة) هند؟

(العسكري يمد يده ... هند تضع في يـ ده دينـ ارا
ذهبيا يأخذه ويخرج ويلتفت لحسن)

الجندي – الزيارة

حسن – ماذا أتى بك إلى هنا؟

حسن – أنا ... أنا (بكبرياء) ما لك أنت وهذا ...

هند – عملت جريمة لابد ... آه منك ... آه

حسن – أنا لم أفعل شيئا ...

هند – أكيد سرقت ... (بلهجة خاصة) عارفاك ... إيـ دك طويلة، يخرب بيتك

حسن – أنا لم أسرق في حياتي ...

هند – كذاب ... كذاب ... كذاب ... وهل أنا لا أعرفـ ك؟ (بنعومة) ألم تسرق الرمان من البستان؟ وكلما قلت لك: لا يا حسن ... تمد يدك وتسرق أكثر.

حسن – يا ست ماذا تريدين بالضبط؟ ألم تحلفي ألف يمـ ين: كل يا حسن خذ هذه يا حسن اشبع يا حسن.

هند – (باسمة) ولو ... لص

حسن – ماذا تريدين مني؟ هل أرسلك مدير السجن لتعذيبي

هند – وهل مدير السجن يحتاجني في أمـ ر كهـ ذا ... إنـ ه يمتلك الكثير ... غدا تعرف يا مسكين عضة كلـ ب تعترف أن والدك اسمه حسنية ...

حسن – يا ساتر

هند – التنقل بين الماء الساخن والبارد، تعترف أنـ ك قتلـ ت قابيل وهابيل.

حسن – كفى ...

هند – والنار ... الكي يا حسن ...

حسن – (صارخا) كفى

هند – طفلي المسكين خائف.

حسن – أنا لست خائفا ... أنا بريء

هند – وما أهمية ذلك؟

حسن – أنا بريء

هند – وهل يجب أن تكون مذنبا حتى تدخل السجن؟ في هذا الزمن الشاطر فقط هو الذي لا يدخل السـ جن ... لا كل من دخل السجن مذنب ولا كل من لـ م يدخلـ ه بريء.

حسن – أريد أن أعرف كيف جئت إلى هنا.

هند – بالقوة.

حسن – بالقوة؟

(الجندي يدخل ... هند تضع في يـ ده دينـ ارا ... الجندي يبتسم لحسن ثم يخرج).

هند – بقوة الدينار.

حسن – أنت ترمين بفلوسك في البحر ... لماذا؟

هند – غبية ... عقلي القاصر وسوس لي أن آتي إلى هذ ا
وأراك ...

حسن – لماذا؟

هند – لا أعرف ... فأنا لا أتعب نفسي في التفكير

حسن – أنت مجنونة

هند – وقلبي رقيق

حسن – ماذا تريدين مني؟

هند – أريد أن أتفرج عليك وأنت مثل العصفور في الفخ ...

حسن – تشمتين فيّ؟

هند – إخص عليك يا حسن وهل أنا أشمت في أحد ... وفيك
أنت بالذات ...

حسن – إذن لماذا جئت؟

هند – (بمرح) الم اقل لك عن السبب؟ لأنني لم أر سـ جنا
في حياتي

حسن – والآن رأيته ... مع السلامة.

هند – (تتطلع ضاحكة) أنت تنام هنا؟ مسكين يـ ا طفلـ ي
العزيز

حسن – يا ست مع السلامة

هند – مسكين يا حسن ... ما الذي فعل بك كل هذا؟

حسن – لا أعرف ...

هند – كفى تخابثا ... (هامسة) قل لي ... لا أحد يسمعنا ...

(الجندي يدخل ... هند تضع في يده دينارا يبتسم لحسن ويخرج)

هند – جابي ضرائب ولكن بطريقة غير شرعية وإن كانت منظمة جدا، أكثر من الطرق الشرعية ...

حسن – أكرمك الله بفضله امشي من هنا.

هند – أخلص عليك يا حسن ... لا تستطيع احتمالي (بنعومة) يا نزيل السجون يا لص الرمان

حسن – إذا لم تنصرفي حالا، سأصرخ لأطلب الجندي ...

هند – دينار يعيده إلى حيث كان ... وعشرة دنانير تذهب به إلى السند ...

حسن – أريد أن أعرف: ماذا تريدين؟

هند – مصلحتك

حسن – مصلحتي أن تنصرفي الآن ... حتى أتفرغ للتفكير في المصيبة التي أنا فيها ...

هند – لن أنصرف من هنا إلا معك

حسن – (ساخرا) يا سلام عل ى الش هامة ... النب ل ... الفروسية ... الرجولة يا امرأة انطلق ي م ن ه ذا المكان بأسرع ما تس تطيعين فالزنزان ة المج اورة فارغة وسعادة المدير لا يحب أن يرى مكانا فارغا.

هند – لا يهمك ... قل لي من الذي سجنك؟

حسن – الحكومة.

هند – أعرف ولكن من في الحكومة الوالي؟ ال وزير؟ ه ذا الجندي؟ كل هؤلاء يسمون أنفسهم حكومة

حسن – مدير السجن

هند – لحسابه؟

حسن – مجهود شخصي

هند – سأذهب إليه ...

حسن – لمدير السجن؟

هند – سأشرح له براءتك

حسن – يا هند الحكاية ليست سهلة ... سعادة الم دير ف ي حاجة إلى شخص ... بعد ي ومين أو ثلاث ة عل ى الأكثر سيجلسه على الخازوق ... أنا هذا الش خص ... صعب عليهم أن يجدوا شخصا آخر ...

هند – ولماذا أنت بالذات؟

حسن – صدفة

هند – يبحثون عن آخر

حسن – هكذا بعد أن كتبوا استمارات ودخلت العهدة وسجلوا اسمي في الدفترخانة

هند – مهما حدث يجب أن تخرج من هنا ...

حسن – لماذا؟

هند – لماذا؟ الحرية شيء جميل

حسن – لقد فقدت الحرية يا هند ... ضاعت مذ ي ... لـ ن أحس بها مرة أخرى ... سيظل السجن داخلي ... ما يذهب لا يعود ...

هند – سأساعدك يا حسـ ن ... سـ أقف إلـ ى جـ وارك ... سأجعلك تنسى السجن ... سأعرفك مرة أخرى على الحرية.

حسن – فهمت ... إنه الحب

هند – (مستنكرة) وهل هذا معقول ... أنا فقط ... فقط ... أعطف عليك.

حسن – اسمعي ... أنا لا أحب أن يعطف علي أحد، ولا أن أعطف على أحد

هند – لكني أحب أن أعطف على احد وأن يعطف على أحد ...

حسن – هذا اسمه الحب.

هند – يا ذكي

حسن – لكنني لا أريد المشاكل ... من غير حـ ب دخلـ ت السجن، بالحب سأشنق سأجلس على الخازوق ...

هند – وهل هذا هو الحب؟ الحب شيء آخر ... الحب حياة ... جمال ... حرية ... الحب عصفور يغنـ ي ... شمس الصباح تلمس جبهة الدنيا ... نسـ مة ناعمـ ة على شط البحر (بنعومة) أكل الرمان في البسـ تان ...

(الجندي يدخل يمد يده ... هنـ د تضـ ع فـ ي يـ ده دينارا).

هند – تأخرت هذه المرة.

الجندي – الشغل كثير سأطلب منهم أن يعينوا لـ ي مسـ اعدا (الجندي يخرج).

حسن – (في غيظ) لقد دفعت حتى الآن أربعة دنانير ... لقد عددتهم.

هند – فداك.

حسن – أنا لا أساوي درهما ...

هند – ربما ... لكنني أدفع من أجلك ألف ألف دينار أو أكثر.

حسن – لماذا؟

هند – لا أعرف ... ربما لأنني غبية ... أمي كانت تقول عني دائما إنني غبية ... كلما لعبت مزقت ثيابي.

حسن – كنت تلعبين؟

هند – وأنا صغيرة

حسن – أنا عمري ما لعبت

هند – ولا يهمك عندما تخرج سنلعب

حسن – فات زمان اللعب

هند – أبدا لا يفوت يا عبيط ... لكن لكل سن لعب خاص به ...

حسن – عندما يدخل إنسان هنا، لا يعرف إلى أين يخرج ...

هند – إلى البستان يا حسن ...

حسن – أنت مغرورة ...

هند – سترى ...

حسن – لكن لماذا؟ لماذا تهتمين بي كل هذا الاهتمام؟

هند – نسيت البستان يا حسن ...

حسن – ليلة وراحت لحالها ...

هند – كانت ليلة رائعة ...

حسن – ربما ... لكنها مرت ... انسيها

هند – أنساها؟ هكذا الرجال دائما ... آه يا خائن ...

حسن – (بفزع) أرجوك لا داعي لهذه الكلمة ... قولي أي شيء إلا هذه الكلمة ...

هند – لا تكن قاسيا ...

حسن – معقول ... (قاس) هذه لا بأس بها ... ومع ذلك والله أنا لست قاسيا ... أنا قلبي رقيق كحرير خراسان لكن الزمن لا يبقى شيئا على حاله ...

هند – منذ أن دخلت وأنت توبخني

حسن – معذور ...

هند – لا تقدر عليهم ... لكن تقدر على أنا ...

حسن – أنا أسف ...

هند – لست غاضبا مني؟

حسن – وهل هذا معقول؟ مستحيل أن يغضب سجين وامرأة مثل القمر تزوره على الأقل ترفع روحه المعنوية قبل تعليقه على سور المدينة ...

هند – حفظك الله يا حسن

حسن – (منفعلا) وصيتي يا هند إذا مت أن تقولي للعالم كله أن الجراد سيهاجمنا ... وإذا لم يقاوموه من الآن لن يبقى على أخضر ولا يابس لن يبقى على الأرض حتى الإنسان.

هند – سلامة عقلك يا حسن ... أي جراد؟ أنا عارفة أن السجن سيصيبك بالجنون ...

(الجندي يدخل ... هند تضع في يده ثلاثة دنانير ... العسكري ينظر إلى النقود في حيرة).

الجندي – لا أستطيع تهريبه ... سيشنقوني من أجل ذلك.

هند – أريد أن تذهب بي إلى مدير السجن.

الجندي – وهل قصرنا لا سمح الله.

هند – لا ... ولكني أريد أن أقابله

حسن – وفري فلوسك يا هند ... مدير السجن لا يشتغل في أقل من ألف دينار ...

هند – دعني أفعل شيئا يا حسن ... قد أكون غبية ولكنني أرى أن من لا يخطئ لا يستحق الخوف قد أكون غبية ولكنني أرى من لا يمرح لا يستحق الحزن ... قد أكون غبية ولكنني أرى أن من يحب يستحق الحب.

(ستار)

المشهد الثالث

(غرفة مدير السجن، نفس المشهد الأول ...
مدير السجن ومساعده والعسكري).

المدير – (للعسكري غاضبا) النظام ... أساس عملنا هذا هو النظام ... لا زوار يا غبي.

المساعد – البند رقم 4 من الباب التاسع في مرسوم إنشاء السجن ...

الجندي – لكنها امرأة ...

(المساعد يبتسم في خبث ... المدير يرتبك قليلا ثم يصيح بغضب).

المدير – وامرأة أيضا ...

المساعد – البند رقم 9

المدير – قلت لكم ألف مرة إن هناك ثلاثة أماكن لا تدخلها المرأة: السجن والسفينة والبيمارستان ... ممنوع ممنوع ... وغير ممكن أيضا ...

المساعد – (للجندي) جميلة؟

الجندي – قمر ...

المدير – جريمتان ... جريمتان

المساعد – اهدأ يا سعادة المدير.

المدير – أهدأ؟ أهدأ والسجن أصبح فوضى؟ امرأة ماذا يحدث؟ لو أنهم فصلوني من عملي لكان الحق معهم. لا ... لن أسمح لكم بالضحك على ذقني ... من اليوم سيعود النظام للسجن ... سأشنق منكم كل يوم واحدا ... أو اثنين ... لابد من التحقيق في موضوع هذه المرأة حالا (للجندي) أدخلها ... (الجندي يخرج).

المدير – أيتها السيدة ... كيف دخلت إلى هنا؟

هند – (باسمة) صباح الخير

المدير – اجلسي حتى نبدأ التحقيق

هند – كفى الله الشر ... أي تحقيق؟

المدير – ألا تعرفين يا ست أن دخولك هنا جريمة ... جريمة هائلة جناية.

هند – لماذا؟

المدير – أنت تدمرين النظام (يتأملها) تدمرين كل شيء ...

المساعد – البند (4) يمنع دخول أي زائر ... والبند (9)
يمنع المرأة بالذات

هند – (بدلال) حتى لو كانت سجينة؟

المدير – السجون لا تدخلها النساء ... يدخلها صنف ثالث لا
هو بالرجال ولا بالنساء حاولي أن ترى واحدة منهن
ثم انظري في المرآة ستجدين أن النسوة لا يـ دخلن
السجن شيء آخر يدخل السجن.

(الجندي يبتسم سعيدا)

الجنـ ـدي – صـ ـحيح والله ... فـ ـرق كبيـ ـر بـ ـين النسـ ـاء
والمسجونات

المدير – (غاضبا) لماذا تقف هنا؟

الجندي – (مرتبكا) أنا ...

المساعد – أنت تلقن الشاهدة يا ولد؟

الجندي – أبدا والله

المساعد – اذهب من هنا فورا ...

المدير – ولي حساب معك فيما بعد

(العسكري يخرج)

المدير – (جادا) ما هي القصة يا ست فتنة؟

هند – (بدهشة) ليس اسمي فتنة؟

المدير – لابد أن يكون اسمك فتنة، وقد أحدثت في السـ جن فتنة (هند تضحك ضحكة عالية)

المساعد – ومظاهرة أيضا.

هند – القصة بسيطة جدا يا سعادة المدير

المدير – أنا فعلا أريد أن أعرف القصة ...

هند – أتيت لأزور أخي ...

المدير – أخوك؟

هند – نعم فهو مسجون هنا

المدير – مسجون ... أخوك أنت مسجون؟ (للمساعد) يبدو أن الفوضى قد عمت السجن تماما ...

المساعد – بالتأكيد مظلوم

هند – مظلوم طبعا

المدير – ما هي جريمته؟

هند – لم يرتكب جريمة ...

المساعد – كثيرون عندنا جريمتهم أنهم لم يرتكبوا جرائم

المدير – ما هي تهمته؟

هند – لا أعرف

المدير – يا مساعد ... اطلبه واسأله ...

هند – أخي لا يعرف تهمته ... (المساعد يذهب إلـ ى رف ويأتي بملف)

المساعد – لا يعرف تهمته ... بسيطة ... ملف رقـ م 7 ... كل شيء عندنا بنظام ...

المدير – ما اسمه؟

هند – حسن ... حسن عبد الله ...

المساعد – ح ... ح ... ح ... (ثم مصابا بخيبـ ة أمـ ل) حسن عبد الله (للمدير) إنه صاحبنا ...

المدير – متأكد.. (لهند) أخوك اسمه حسن عبد الله

هند – (بدلال) وأنا اسمي هند ...

المدير – وهو حسن ... أنت هند ... هند عبد الله ...

هند – طبعا ... طالما أن أخي اسمه حسن عبد الله ... فلابد أن اسمي هند عبد الله

المساعد – من عائلة محمد المعروفة؟ (هند ترتبك قليلا ثـ م تتماسك).

المدير – في الحقيقة أخوك ولد طيب

هند – وغلبان ... في حاله ... لا يهش ولا ينش

المدير – طيب ... طيب جدا ...

المساعد – نحن عندنا أحسن مساجين في العالم كله ...

المدير – لكن حسن أطيبهم ...

هند – أيرضيك يا سعادة المدير أن شابا طيبا مثله يلقى في السجن؟

المدير – لو أن أخاك قتل نصف أهل المدينة لما أرضاني بقاؤه في السجن ليلة واحدة ... لأنه أخوك

هند – نصرك الله على أعدائك ... أفرج عنه ...

المساعد – مستحيل ... إنه حسن بطل اللعبة الكبيرة ...

المدير – آه ... طبعا ... مستحيل ...

هند – أيرضيك يا سعادة المدير أن أرملة في سني تعيش وحدها في بيت طويل على مشارف المدينة ... وليس معها رجل يحميها

المدير – (بفضول) أنت تعيشين وحدك؟

هند – ليس معي سوى خادمة ... بنت لعوب ... تأخذ أجازة كل خميس وجمعة؟ لماذا؟ لكي تبيت عند أمها ... لكنني اكتشفت أن أمها ماتت منذ عشر سنوات هل تصدق يا سعادة المدير؟

المدير – معنى هذا أنك تكونين في البيت وحدك ...

هند – لا تتصور مدى خوفي ... خائفة من اللصوص والشطار وقطاع الطرق ... والطامعين في أرملة جميلة

المدير – بصراحة هذا ظلم ...

المساعد – حتى لو كان حسن لم يفعل جريمة وهذا في حد ذاته جريمة كبرى ... يجب الإفراج عنه ... عوامل إنسانية ...

المدير – ومن غيرنا (يحتضن) العوامل الإنسانية ...

هند – (فرحة) ربنا يطول عمرك يا سعادة المدير ... ربنا يكرمك يا سعادة المساعد ...

المساعد – لكن النظام ... النظام فوق كل شيء ...

هند – لا أفهم

المساعد – خروجه بميعاد ... لدينا كل شيء له مواعيده ...

هند – (بخيبة أمل) ألن يخرج معي الآن؟

المساعد – هذه هي الفوضى بعينها ...

هند – إذن متى يخرج؟

المساعد – يوم الجمعة

المدير – (للمساعد) ولماذا يوم الجمعة بالذات؟

المساعد – لأن الخادمة تأخذ أجازة ليلة الخميس

هند – مال الخادمة وحكايتنا هذه

المدير – كل شيء بنظام ...

هند – لكن يوم الجمعة بعد ثلاثة أيام ... الزنزانة باردة على حسن

المدير – اطمئني ... سآتي لك يوم الخميس ومعي صك الإفراج

هند – بنفسك؟

المدير – لتتأكدي ... أخاف أن يكون لديك شك أو ريبة!!

هند – أليس أفضل أن آتى أنا ...؟

المساعد – هذا يغير من الإجراءات ويتناقض مع نصوص الفرمان السلطاني الصادر في عام 601 والتفسير الصادر في عام 609 وتفسير التفسير ... و ... و ... الخ. ومعنى هذا أن يخرج أخوك بعد سنة.

هند – سنة ...

المدير – المساعد لم يكلمك عن شرح تفسير التفسير ... ممكن أن يخرج بعد سنتين ... أو أكثر ...

أين البيت؟

هند – آخر بيت في شرق البلد ... على شاطئ البحـ ـر ... قبل السور الأبيض مباشرة له حديقة جميلة ... مليئة بشجر الرمان ...

المدير – وأنا أحب الرمان ...

هند – لكن ماذا يقول الناس ...

المدير – الناس يقولون أي شيء إلا عن مدير السـ ـجن ... يخافون مجرد التفكير فيه

المساعد – أنصح أن تكون الزيارة بعد المغرب مباشرة ... لدينا إحصاءات دقيقة عن تحركات الناس ... يمـ ـر في هذا المكان وفي هذا الوقـ ـت ثلاثـ ـة أشـ ـخاص ونصف في الساعة ... وهي نسبة ضئيلة جدا

المدير – هذا هو الوقت المناسب ...

هند – يخيل إلىّ أن سعادة المدير له هدف ما

المساعد – اسمعي يا ست هند ... بذمتك هـ ـل قابلـ ـت فـ ـي حياتك رجلا لم يكن له هدف ما ...

المدير – وأنا مثل أي رجل آخر ... وأسوأ ...

هند – أن هذا الكلام يصيبني بالخجل ...

المدير – وهذا بالضبط ما أقصده ... لذتي أن أجعل النسـ ـاء يخجلن، والمساجين يصابون بالذعر والناس يخافون، بالمناسبة أنا أحب اللحم جدا ...

هند – (بدهشة) أي لحم؟

المدير – كل أنواع اللحم ... الخراف ... الماعز ... الثيران ... البشر ... لكنني سآتي بالنبيذ معي

هند – ألا يرى سيدي المدير أانه يستغل الظروف؟

المدير – أرى هذا طبعا ...

المساعد – غبي من لا يستغل الظروف ... ومع ذلك فسعادة المدير لا يستغل الموقف تماما ... سيأتي بالنبيذ معه والنبيذ غال في هذه الأيام ...

المدير – ألا يكفي أنني سأفرج عن أخيك ... وأسعدك فـ ـي نفس الوقت؟

هند – تسعدني؟

المدير – طبعا ... ألست أرملة جميلة ووحيدة ومحتاجة إلى ... إلى مدير سجن

هند – يخيل لي أن هناك خطأ ما

المدير – لا تستسلمي للتخيلات

هند – لماذا تضع زيارتك كشرط للإفراج ... العلاقة السليمة بين رجل وامرأة يجب أن تكون بلا شروط

المدير – ماذا تقصدين؟

هند – أفرج عن حسن ودعني بعد ذلك اختارك ... سـ يكون آنئذ اختيارا لشخصك وليس لنفوذك ...

المدير – أكون حمارا ...

هند – لماذا؟ ألف امرأة تتمناك.

المدير – هذا هو الكلام الحلو الذي لا يصل إلى نتيجـ ـة ... أنا بدون نفوذي لا أساوي بصلة اسمعي يا ست ... أنا رجل منظم جدا ... النظام أهم شيء ... الصـ ـك أوقعه صباح الخميس ... الزيارة بعد المغـ ـرب ... الإفراج يوم الجمعة ... مستحيل أن أغير هذا النظام ... لو غيرته لن أصل إلى شيء ... أنـ ـا أعـ ـرف نفسي جيدا ...

هند – (بدلال) ألا تخشى أن أشتكيك

المساعد – (يضحك بسخرية) كل شيء بنظام ... وحساب ... هل نسيت أن أخاك بين أيدينا

المدير – ويبدو أنك تحبينه جدا ...

هند – وهل ضيعني إلا حبه ...

المدير – اتفقنا ... مع السلامة وإياك أن تعودي إلى هنا ...
ممنوع منعا باتا دخول النساء إلى السجن (هند تخرج ... المدير يفرك يديه في سعادة)

المدير – متى يأتي يوم الخميس ...

المساعد – لابد أن يأتي لا يتأخر أبدا ...

المدير – يا لها من امرأة ... لم تمر بي امرأة مثلها

المساعد – صاعقة

المدير – (يربت عليه مداعبا) بذمتك ألم يجر ريقك عليها

المساعد – جرى ...

المدير – لماذا لا تأتي معي؟

المساعد – هل ترى من الصواب أن يكون مساعدك معك حتى في هذه المسائل؟

المدير – لا ... سخيفة فعلا ... عندي فكرة ... نؤجل الإفراج عن الولد أسبوعا واذهب الخميس التالي

المساعد – الولد لن يفرج عنه يا سعادة المدير لا هذا الخميس ولا الذي بعده ... ولا أي خميس آخر

المدير – لا أفهم ...

المساعد – اذهب سعادتك إلى حيث تشـ ـاء ... ولكننـ ـا لـ ـن
نضيع حسن أبدا ... إنه بطل اللعبة الكبيرة الدجاجة
التي تبيض ذهبا ...

المدير – لكني وعدتها ...

المساعد – وعد القوي للضعيف ... الوعد الحقيقي هو لمـ ـن
كان مثلك أو أقوى منك ... ما قيمة الوعد يا سـ ـيدي
إذا كان لمن لا يستطيع إجبارك على تنفيذه ...

المدير – وهند؟

المساعد – اذهب لها يوم الخمـ ـيس ... يـ ـوم الجمعـ ـة ...
ستصبح مثل أي امرأة أخرى ... ستصبح بلا طعـ ـم
وقبل يوم الجمعة سيكون حسن قد اعترف بـ ـإذن الله
وربنا يسهل، ونجلسه على الخازوق يوم السبت ...

" ستار "

الفصل الثاني

(وفيه يقص الفقير إلى الله تعالى ما وقع لحسن المراكبي من أهوال، وما لاقت الأرملة الحسناء من صعاب. وبيان طرائف العصر والأوان والله المستعان).

المشهد الأول

(ديوان المحتسـ ب، الكاتـ ب وهـ و نفسـ ه المساعد في الفصل الأول – هند)

الكاتب – (عصبيا) يا ست أقسم برأس أبي أنني لـ م أرك من قبل.

هند – لماذا تنكر نفسك يا سعادة المساعد ... هل عملك هذا أفضل من عملك كمساعد لمدير السجن والله كانـ ت هيبتك هناك أكثر ...

الكاتب – أنت مجنونة قطعا ... لأنني لم أدخل السجن فـ ي حياتي ... ولا سرت بجانبه ... ولا مـ ررت فـ ي الطريق القريب منه ... بل ولا أعرف شكله ...

هند – العقل يا رب ... لقد كنا معا في الصباح

الكاتب – أؤكد لك أنني لا أستطيع الاقتـ راب مـ ن السـ جن لأسباب خاصة ...

هند – بعينيّ هاتين رأيتك يا رجل ...

الكاتب – لو أنني مررت بجوار السجن فلابد أن يجـ د لـ ي المدير تهمة أو ربما سجنني من غير تهمة بينه وبين

سيدي المحتسب ما صنع الحداد ... بـ ل والنجـ ار
أيضا ... المدير يكره المحتسب وأنـ ا مـ ن رجـ ال
المحتسب ... يده اليمنى ... المدير يريـ د القضـ اء
عليّ حتى يصبح سيدي المحتسب بيد واحدة ...

هند – عقلي

الكاتب – لا تنخدعي إذا مـ ا رأيتهمـ ا صـ ديقين ودوديـ ن
يجمعهما الكأس والضحكة ... والنسـ ب أيضـ ا ...
علية القوم عندما يكرهون علية القوم، يهجمون عليهم
بالقبل وهذا ما يسميه الحكماء بالسياسة (المحتسـ ب
يدخل ينظر إلى هند باشمئزاز)

المحتسب – ماذا تريدين يا ست (تهم بالكلام) ألا تستطيعين
الاحتشام قليلا ... أليس لك رجل يملك عصا ينهـ ال
بها عليك حتى يؤدبك؟ أنصحك أن تخرجي لتشتري
العصا وتعطيها لزوجك هدية، فلا عيب في أن يسعى
الإنسان لتأديب نفسه ...

هند – ما هذا كله يا سيدي المحتسب ... إن الأمر لا يستحق
كل هذا لقد جئت أقدم شكوى.

المحتسب – أستغفر الله العظيم ... الشكوى لغير الله مذلـ ة
...

هند – وأنا قد ذللت يا سيدي المحتسب ...

المحتسب – لا قدر الله قولي إنك توهمت فقط ... بحمد الله وفضله يسود العدل أركان الولاية ومع ذلك فأنت قد أخطأت الطريق يا امرأة ... من لديه شكوى يقدمها للقاضي ...

هند – ذهبت إليه فلم أستطع الدخول؟

المحتسب – ولماذا؟

هند – كانت هناك قضية كبيرة ... سنجق قتل سنجق آخر ... ومماليك الطرفين يزحمون المكان

المحتسب – كان عليك أن تنتظري ...

هند – انتظرت فقتل خليفة السنجق المقتول خليفة السنجق القاتل ... ولم أستطع الانتظار أكثر من ذلك خشية ألا ينتهي القتل ... فجئت إليك يا حامي حمى المظلومين.

المحتسب – إننا نتعدى بذلك على سلطان القاضي ... أليس كذلك أيها الكاتب؟

هند – (بدهشة) هو يعمل كاتبا هنا؟

الكاتب – من سلطات سيدي المحتسب أن يضبط المخالفات والجرائم ولعل هذه السيدة تعرض شيئا من هذا القبيل ...

هند – نعم ... من هذا القبيل ...

المحتسب – تكلمي يا امرأة ... لكن باختصار. لم يعد سوى دقائق على صلاة العصر ...

هند – باختصار شديد يا سيدي: مدير السجن ...

المحتسب – (باهتمام شديد) مدير السجن؟ ماذا حدث؟

هند – يريد أن يأتي إلى بيتي ...

المحتسب – لماذا؟

هند – أمر لا يحتاج إلى شرح ...

المحتسب – هكذا ... يريد أن يأتي لك البيت لكي ... نهاره أسود ... سأسجنه إن شاء الله ابن نعيمه العوادة ... هل تعرفين أن أمه كانت عواده؟ تللم ... تللم ... ما علينا قولي ماذا فعل ... قصي على كل شيء بالتفصيل ... أريد كل شيء بدقة ...

هند – إنه يريدني ...

المحتسب – يريدك؟ كيف؟ احكي بالتفصيل ...

هند – لا أستطيع ...

المحتسب – لا حياء في الشكوى يا بنت ... تكلمي

هند – منذ وقت طويل وهو يتابعني

المحتسب – منذ متى؟ الدقة مهمة جدا هنا ...

هند – من سنة ... لا ... من سنة ونصف وهو يحاول ...

المحتسب – (مقاطعا) يحاول سنة ونصف ... مستحيل ...
لابد أن شيئا حدث ... لا تخجلي تكلمي ...

هند – لم يحدث شيء وشرفك يا سعادة المحتسب ...

المحتسب – أأنا لا أعرف ابن نعيمة العوادة؟ سنة ونصـ ف
يحاول؟ مستحيل طبعا

هند – هذا ما حدث ...

المحتسب – يا ابنتي كوني صادقة وسندفع به إلى حيـ ث لا
رجعة ... المهم ... ثم ماذا حدث؟

هند – قلت له لا يا مدير ... مستحيل يا مدير ... أنا سـ ت
شريفة يا مدير ... وهو يزداد إلحاحا ...

المحتسب – أعرفه لا يباريه أحد في الصفاقة

هند – لما يئست ...

المحتسب – هل يئست؟ ألم أقل لك كوني صادقة ...

هند – لجأت إلى أخي حسن، قلت له يا حسن أنقذ أختك العفيفة من هذا الوحش، تصدى له حسن كالأسد ... لكن المدير الملعون قبض عليه وسجنه ...

المحتسب – ثم؟

هند – قال لي يا هند إما أن يحدث ما لا أستطيع أن أقوله أمام مولاي المحتسب ... وإما أن يظل أخي في السجن.

المحتسب – إبليس وعينوه مديرا ... ما زال أخوك في السجن؟

هند – ينام على الأرض ... يا عيني ...

المحتسب – بماذا اتهمه ابن نعيمة العوادة؟ أكيد لفق له تهمة ... فهو خير من يلفق ...

هند – أبدا ما زال حتى الآن يبحث له عن تهمة.

المحتسب – مدهش ... رغم أن التهم عنده جاهزة وكثيرة ولا يجد لها عددا مناسبا من المتهمين

هند – حسن لم يفعل شرا في حياته

المحتسب – لا أهمية لذلك عنده ... (للكاتب) هل عباءتي جاهزة (لنفسه) ضاع ابن نعيمة العوادة ... إذا الله

وإنا إليه راجعون (للكاتب) هات العباءة أنا ذاهـ ـب
للوالي فورا (لهند) ظلي هنا (للكاتـ ـب) أسـ ـرع
(لهند) الأفضل أن تأتي معي (لنفسه) نهايتك على
يدي يا ابن ترم ... ترم ... تـ ـرم ... (للكاتـ ـب)
العباءة.

الكاتب – اهدأ ...

المحتسب – ماذا تقول يا ولد

الكاتب – أقول إن مولاي المحتسب لو فكر قليلا سيجد حـ ـلا
آخر ...

المحتسب – أي حل آخر يا ولد؟ أنهـ ـا فرصـ ـة العمـ ـر ...
خمس سنوات وأنا أنتظر مثل هذه الشكوى ... لـ ـو
كان حظه حسنا سيحال إلى التقاعد ... لو كان حظه
كما أتمنى سيشنق ...

الكاتب – يبدو أن سيدي المحتسب نسى جنـ ـاح رقـ ـم 4 ...
قصر إلى جوار قصر مولاي المحتسب ورفـ ـض أن
يبيعه ...

المحتسب – كان يكشف الحريم فوق السطوح ... لـ ـم يكـ ـن
يعجبه إلا الهواء العليل في الطابق الثاني ...

الكاتب – لكنه دخل السجن بلا تهمة ولا أوراق ... مجـ ـرد مجاملة لمولانا المحتسب ... المسجون الثاني أحمـ ـد التقى

المحتسب – لعنه الله كان يغش الخمر ... كان يفسدها بقـ ـدر من الماء وآخر من الكحول ... فتصبح بـ ـلا طعـ ـم وتجرح الحنجرة كالنار ...

الكاتب – وكيف عرفت كل هذا؟

المحتسب – اخرس

الكاتب – سيقول أحمد التقى إنك كنت تشتري الخمـ ـر منـ ـه ويشهد على ذلك مدير السجن ومسـ ـاعده ويقسـ ـمون جميعهم ... المسجون الثالث عبد المنعم صبحي ... ضبطه مولانا الثالث في الحرملك ... فضـ ـيحة ... والفضيحة الأكبر أن سيدي المحتسب تغاضى عـ ـن الموضوع ... وعاد إلـ ـى حريمـ ـه كمـ ـا كـ ـان ... والمسجون الرابع ...

المحتسب – كفى ... كفى ...

الكاتب – جناح كامل لحساب سيدي المحتسـ ب ... سـ بعة عشر ... مات منهم ثلاثة من الدهشة وبقى أربعـ ـة عشر

المحتسب – الأمر يحتاج إلى تفكير ... تفكير عميق

هند – تفكير؟ ألن تسجن مدير السجن؟

المحتسب – لقد سمعت بنفسك يا امرأة أدخلنا السجن بعـ ـض السفلة الفاسقين بضمير مستريح ... لكن قد يكـ ـون للوالي رأي آخر ...

هند – عدل أو لا عدل ما فعلته؟

المحتسب – عدل والله ...

هند – وهل تخاف العدل؟

المحتسب – أنا لا أخاف العدل ... ولكن للمسألة جوانبها ...

هند – العدل له جانب واحد يا سيدي ...

المحتسب – العدل ليس مجرد كلمات تقال ... العـ ـدل لـ ـيس سيفا قاطعا ... العدل شرطه الحكمة ...

المساعد – العدل شرطه الحق ...

المحتسب – مازلت صغيرة ... لا تدركين مثل هذه الأشياء ...

هند – (ساخرة) أين أنا من الحكمة ... مولاي المحتسب وحده الحكيم ... حكيم منذ الصغر ولذلك صار محتسبا ... ملعونة تلك الحكمة التي لا تجعل الرجال رجالا ...

الكاتب – كوني مؤدبة يا بنت ... هناك غرفتان خاليتان في جناح رقم 4

هند – عندما يفكر المحتسب حارس العدل في الحكمة بدلا من أن يفكر في العدل، فقل علينا السلام ... على من ليس له سلطان، ومن ليس في حمى السلطان ...

المحتسب – غباء أن ننطح رؤوسنا في الصخر، غباء أن نتحدى الأقوياء ...

هند – أين هم الأقوياء؟ إن القوى من يستطيع أن ينظر في وجوهنا دون خجل، دون أن تطرف عيناه إحساسا بالذنب. أنهم ضعاف ... ضعاف جدا ... مدير السجن ضعيف لأنه فعل شيئا تستطيع به أن تدفعه إلى السجن ...

المحتسب – لا أستطيع ...

هند – عندما يكون الحارس واللص سواء فلا طريق أمامنا
سوى العذاب

المحتسب – سنصل إلى رضاك ... سنرضيك ... سأقابل
مدير السجن ليفرج عن أخيك ... سأقنعه لي أفضال
عليه

هند – وهكذا أكسب القضية وتخسرها أنت

المحتسب – (صارخا) ماذا تريدين مني؟

هند – (بهدوء) العدل

المحتسب – العدل ... ولماذا تطلبين العدل مني أنا بالذات؟

هند – لأنك المحتسب حارس العدل في البلاد

المحتسب – هل تتصورين المحتسب يعيش في برج عاجي
أو جالس على سحابة بيضاء أو ناسكا فوق الجبال أنا
موظف في الدولة ... أعطوني عصا أحمي بها
العدل مقابل راتب شهري تدفعه الدولة. هل تعرفين
معنى الدولة؟ أنها الوالي والحاجب والوزير والقائد
والكاتب والمحظية وألف شخص آخر ... كلهم
يريدون العدل ويصرون عليه بشرط ألا يمس
مصالحهم ... وإذا خرج ألف شخص من دائرة

العدل لن يستطيع سليمان الحكيم نفسه أن يقيم العدل ...

هند – ارفع عصاك عليهم ... تكون الأقوى

المحتسب – عنقي سيكون الثمن

هند – ألوف وألوف سيرفعون سيوفهم دفاعـ ـا عنـ ـك لأنـ ـك تحمي العدل

المحتسب – (ساخرا) والله ... وهل تظنين أنهم سـ يقولون إننا نشنق المحتسب لأنه يريد العدل

الكاتب – سيقولون إن مولانا المحتسب يتسلل إلى الأسـ واق لصيد العذارى أو أنه اختلس فلوس بعض اليتامى

المحتسب – أو ربما قـ الوا إننـ ي عميـ ل لدولـ ة أجنبيـ ة، ويصادرون أموالي، ويسجنون أولادي.

الكاتب – والذين تتكلمين عنهم سيكونون أول مـ ن يهتفـ ون مطالبين بدمه. وتكون مشكلة الدولـ ة حمايتـ ه مـ ن الغوغاء ...

هند – ما هذا؟ تقصد أن ظمأ الناس إلى العدل مـ ن يـ روي أبدا؟ أن السنين الطويلة هو مجرد سحاب لن تلمسـ ه كف؟

المحتسب – يكفينا ما نستطيع وأنا قادر على أن أدبـ ـر لـ ـك العدل ...

هند – العدل الناقص يرضيني ... ولكن هل يرضيك أنت؟

المحتسب – يا ابنتي ... لقد أصبحت ولا شيء في الدنيا كلها يرضيني ... ومع ذلك فأى شيء يرضيني

هند – قلبي معكم يا سيدي المحتسب ...

المحتسب – عندما أرى امرأة مثلك مكانها القصور لا الجري في الطرقات بحثا عن الطمأنينة أحس أن قلبي معها

الكاتب – وهكذا تبدأ الحكاية ...

هند – أية حكاية ...

الكاتب – كان يا ما كان في سالف العصر والأوان محتسـ ـب قلبه مع امرأة جميلة حسناء ...

المحتسب – اخرس يا ولد ...

هند – مولانا المحتسب ليس مثل هذا الصنف؟

الكاتب – وهذا يؤكد أن الخبث وراثي في النسوان ...

المحتسب – إن لم تصمت سآمر بسحبك ..(لهند) ما اسـ ـم أخيك

هند – حسن عبد الله ...

المحتسب – سأذهب إلى مدير السجن بنفسي، وأبتلع كرامتي، وأتودد إلى ابن العوادة. تلم ... تلم ... تلم ... وآتى لك بصك الإفراج ...

هند – ومتى آخذه؟

المحتسب – الليلة ...

الكاتب – لا ينسى مولاي أن الديوان لـ ن يكـ ون مفتوحـ ا فالحارس ينصرف بعد صلاة العصر ... وأنـ ا لـ ن أكون موجودا ...

المحتسب – الديوان سيكون مغلقا ... ليكن ... سأصف لـ ك بيتي ... (الكاتب يسعل) اخرس أنت (لهند) هل تعرفين قصر الحاجب؟

هند – لا ...

المحتسب – هل تعرفين السبيل؟

هند – أعرفه ...

المحتسب – إلى جواره قصر مبني بالقرميد ...

هند – أنا لا أعرف القرميد ... ولكنني أعرف قصر شهبندر التجار ...

المحتسب – تقصدين شهبندر التجار القديم ... إنه هو نفسه.

الكاتب – (في تخابث) كنت أظن قصر مولاي في غ رب المدينة ...

المحتسب – وما دخلك في هذا يا سافل ...

الكاتب – قل كل شيء للست بوضوح ... ليس أفضل م ن الوضوح مع امرأة تطلب العدل الكامل ...

المحتسب – أستغفر الله العظيم ... وهل أنا ممن يخ دعون الناس وهل أنا مثل مدير السجن، أن غرضي شريف ... (لهند) هل أنت متزوجة أم عزباء؟

هند – عزباء ...

المحتسب – بكر أم ثيب؟

هند – الثانية ...

المحتسب – مطلقة أم أرملة؟

الكاتب – دلوني على المجنون الذي يطلق امرأة كهذه؟

هند – أرملة ...

المحتسب – عقد القران غدا ... إن شاء الله ...

هند – (بدهشة) عقد القران؟ قران من على من؟

المحتسب – أنا وأنت ...

هند – (بدهشة، وللكاتب) هل تفهم شيئا ...

الكاتب – كوني غبية جدا، فتفهمين.

المحتسب – يا ابنتي ما أطلبه بسيط جدا ... زواج على سنة الله ورسوله.

هند – لكنني لا أريد الزواج.

المحتسب – عظيم ... نطلقك بعد غد ...

هند – زواج بالليل وطلاق بالنهار ...

المحتسب – ونعطيك مؤخر الص داق والنفق ة ... وص ك الإفراج ...

هند – أي زواج هذا؟

المحتسب – افهمي يا بنت ... مولانا المحتسب عينه منك.

هند – (ساخرة) طيب ... ولماذا كل ه ذا التع ب؟ عق د وشهود وتكاليف نفقة ووجع قلب.

المحتسب – أستغفر الله العظيم أنا آبي الحرام ...

هند – تأبى الحرام؟ وهل ما تريده حلال ...

المحتسب – حلال يا شابة حلال ...

هند – وطبعا عندك فتوى ...

المحتسب – ألف ...

هند – ومع ذلك فهو في رأيي حرام ...

المحتسب – يا ساتر ... اللهم ارفع غضبك ومقتك عنا ... يا ابنتي لا تحرمي ما أحل الله

هند – لا تحلل الحرام يا رجل ...

المحتسب – يا ابنتي إنه زواج قائم على كل شروط الزواج: العرض والقبـ ول والإشـ هار ... الكاتـ ب شـ اهد والبستاني شاهد ...

الكاتب – لقد شهدت عشرات المرات في مثل هذه الأحـ وال ولا تنسى يا فتاة: المهر ومؤخر الصـ داق والنفقـ ة كيس ثقيل يجعلني أندب حظي يوم أن ولدت رجـ لا ...

هند – رأسي يدور ...

الكاتب – أرى إن كان لي أن أنصحك أن عـ رض سـ يدي المحتسب أشرف قليلا من عرض مدير السجن.

هند – هكذا يا حسن ... ماذا جنيت حتى تضعني فـ ي هـ ذا الموقف ...

المحتسب – خذي الأمور ببساطة يا ابنتي ... اسـ بحي مـ ع التيار ... لا تتعبي نفسك ... عندما كنت في سـ نك كنت أرى الأشياء إما بيضاء وإما سوداء ... الخير دائما أبيض والشر دائما أسـ ود ... لكـ ن الـ زمن

يضعف البصر يمتزج الأبيض بالأسـ ود ... الحـ ق بالباطل زمن رمادي ... كل شيء يساوي لا شـ يء ... عندما تصبحين في سـ ني ستكتشـ فين أنـ ك لا تخسرين شيئا عندما تتهاونين، وأنك لا تكسبين شيئا عندما تتحدين الدنيا كلها ... عندما تصـ بحين فـ ي سني ستعرفين أن زماننا هذا هو زمن رمادي ...

هند – لك منطق محكم يا سيدي المحتسب ... أنت مقنع جدا ... يبدو أنني لا أقابل في يومي هذا إلا العقلاء ... نحن بسطاء الناس ليس علينا أن نفكر أو نناقش ... علينا أن نقتنع فقط.

الكاتب – عاقلة ... والعقل ضروري في الأزمنة الرمادية.

هند – ومع ذلك فلي بعض الأسئلة: أضروري أن يتم الزواج في قصرك ... هذا الذي في القرميد

المحتسب – ليس شرطا ... لكنه قصر فاخر ... كأنه الدنيا ... حراس قبارصة جواري روميات ... سـ جاجيد فارسية فواكه مغربية ... أطعمة شامية ...

هند – بيتي متواضع ليس فيه سوى أرملة وحيدة ... لكننـ ي مع ذلك أحبه.

المحتسب – أنت الدنيا كلها (الكاتب يسعل) يا ابنـ ي لقـ د انتهى وقت العمل ... اتكل على الله ... الديوان لن يدفع لك درهما زيادة عن راتبك ...

هند – أفضل أن يتم إذن العقد في بيتي.

المحتسب – أقبل كل شروطك ... ثم إن التغيير لابد منه بين الحين والحين.

هند – ما دمنا قد اتفقنا أسير إلى بيتي ...

الكاتب – تسيرين؟ تكون الفوضى بعينها ... كيف تسيرين يا هانم ... لابد أن تركبي محفة فخيمة هل أنت مجرد امرأة من المدينة يحق لها أن تمشي على قدميها. إنك ستكونين بعد بضعة أيام مطلقة مولانا المحتسب ...

(ستار)

المشهد الثانـي

(ديوان الوزارة. حركة وضجة. مجموعة من الجواري. نخاس).

وهند داخلة تائهة لا تعرف من تكلم تصطدم بوزير الوزير وهو نفسه المساعد والكاتب في المشاهد السابقة).

هند – أنت؟ قل لي إنك لست أنت.

و. الوزير – بنظام ... قفي في الصف يا ست ... مولاي الوزير أعزه الله على وشك الحضور ...

هند – قل إنك لا تعرفني ...

و. الوزير – (ساخرا) وكيف لا أعرفك يا ست الحسن والجمال ... الست بنت السلطان؟

هند – نسيتني؟ نسيتني يا رجل؟.

و. الوزير – الصبر ... الصبر يا رب ... وقتي لا يسمح لي بالمداعبات ... قفي في الصف وخلصينا (للنخاس) يا جوهر ...

جوهر – أمر سيدي وزير الوزير ...

و. الوزير – خذ هذه البنت عندك ...

جوهر – إنها ليست من الجواري ...

و. الوزير – ليست من جواريك؟ (لهند) من جواري من أنت يا بنت؟

هند – من جواري نفسي.

و. الوزير – حلوة ... أول مرة أشوف واحدة هي الجارية وهي النخاس في نفس الوقت. التجارة تقدمت يا سادة.

هند – يا عم أنا لست جارية.

و. الوزير – إذن لماذا أنت هنا؟

هند – جئت أقدم شكوى ...

و. الوزير – وهل ترين الوقت مناسبًا للشكاوى ... لا أحد يحب المعزين في الأفراح.

هند – أليس هذا هو المكان المناسب الذي يقابل فيه الوزير المظلومين؟

و. الوزير – (ساخطًا) هو

هند – خلاص ...

و. الوزير – نصيحتي لك أن تعودي في وقت آخر ...

هند – لن أخرج من هنا قبل أن يسمعني الوزير ...

و. الوزير – إذن ابقي هنا حتى أفرغ لك ... أنا أعرف هذا الصنف اللحوح ... (للجميع) النظام النظام يا غجر

(هند تعود للاقتراب منه).

هند – قل لي يا ... قل لي هل فتحوا سوقًا هنا؟

و. الوزير – (ضاحكا) سوق. حق أنت عبيطة ... لا سوق ولا دكان يا بذ ت ... م ولاي الـ وزير أع زه الله غاضب على أهل بيته ... ولذلك قرر شراء ط اقم جديد من الجواري ...

هند – طاقم جديد؟

و. الوزير – مولانا الوزير أعزه الله لديه 365 جارية بع دد أيام السنة ... فهو يفضل التاريخ بتقويم عمر الخيام بدلا من التقويم القمري.

هند – لكن السنة 365 يوم وربع.

و. الوزير – ألا يستريح أبدا ... ربع يوم يستريح في ه ... مسكين مولاي يحسدونه على ربع يوم راحة ...

هند – لكن مولانا الوزير ...

و. الوزير – أعزه الله ...

هند – (تكمل) عندما يشتري جواري جديدات سيضـ طرب النظام.

و. الوزير – لا. النظام عندنا كالساعة العدد هو هو دائمًا ... لا ينقص ولا يزيد.

هند – هناك عدد زائد ... ماذا تفعلون به؟

و. الوزير – ماذا تفعلين بملابسك القديمة؟

هند – أعطيها للبنت سنية خادمتي ...

و. الوزير – هذا هو بالضبط ما يفعله مولاي أعزه الله ...

هند – (بدهشة) يعطيها للبنت سنية ...

و. الوزير – ليس بالضبط ... مولاي الوزير ...

هند – أعزه الله ...

و. الوزير – (يكمل) لديه مئات السنيات ... الحكيم سـ نية ... السياف سنية ... رئيس الخدم سنية ... أنا سنية.

هند – لابد أن مولانا الوزير غني جدا.

و. الوزير – في الأسبوع أراد مولانا الوزير أعـ زه الله أن يشتري قصرًا أعجبه على الشـ اطئ وبعـ د البحـ ث والتحري اتضح أن القصر ملك له.

هند – ياه ... إنه ثري جدا.

و. الوزير – ومع ذلك فالجواري لسن على حسابه ...

هند – على حساب من؟

و. الوزير – من المخصصات الوزارية ... نصفهم من بنـ ـد الأدوات الكتابية والنصف الآخر من بنـ ـد المكافـ ـآت التشجيعية (الحركة تزداد الضجة تعلـ ـو فيتحـ ـرك وزير الوزير إليهم).

و. الوزير – نظام ... نظام ... كل شخص في الصـ ـف ... لا محسوبيات لا وسايط كل واحدة ستأخذ فرصـ ـتها (الوزير يدخل).

الوزير – نظام كما قلت ألف مرة ... زوري جرح.

النخاس – (خطيبا) أعز الله مولانا الوزير ... درة الولاية كنز الحق وسيف الدولة ...

الوزير – (مقاطعا) كفى. كفى. أليست هناك وسيلة أفضل لتعذيبي من هذه الخطب العصماء لقد سمعت منهـ ـا سبعا اليوم وواحدة أخرى تهلكني ... أجل خطبتـ ـك ليوم أكون فيه قادرا على الاحتمال. أتيت بالمطلوب؟

النخاس – إشارة مولاي أمر.

الوزير – لا تبعني كلمات. فلا أنقدك عليها شيئا أريد بضاعة فريـ دة لا قبلهـ ـا ولا بعـ ـدها ... ضـ ـقت بالنسـ ـاء المتحذلقات ثقيلات الظل.

النخاس – بضاعتي يا مولاي كنز محرم على غيرك ...

الوزير – فرجنا ... (النخاس يتقدم بالجارية الأولى).

النخاس – نرجس ... تبارك الباري فيما خلق ... عشـ ـرون سنة ... لا تزيد قد تنقص شـ ـهورا ... تغنـ ـي ولا سلاّمة تتكلم ولا الجاحظ تحب ولا ليلى ...

الوزير – من أين جئت بها؟

النخاس – من عند شهبندر التجار ... رباها علـ ـى العـ ـز،و كان يؤثرها على سائر جواريه.

الوزير – ولماذا باعها شهبندر التجار؟ افتقر؟ فـ ـي الشـ ـهر الماضي أدخل خزائنه كذا مليون دينار مـ ـن أزمـ ـة الدقيق.

النخاس – أقصد شهبندر التجار السابق ...

و. الوزير – مات مسموما ...

الوزير – (بقلق) وأين كانت قبل ذلك؟

النخاس – كانت عند السنجق سليمان الذي اشتهر بجواريـ ـه الحسان ...

و. الوزير – أيضا مات مسموما ...

الوزير – لا ... لا ... لا أريدها أبعدوها عني (و. الوزير يميل عليه ويتهامسان).

الوزير – هاتوها قررنا شراءها وإهداءها للقاضي. (النخاس يتقدم بالجارية الثانية)

النخاس – قمر شاه ... وهي قمر حقا كما يلاحظ مولانا ... في شوال القادم تكمل الثامنة عشر عاما.

الوزير – من أي بلد؟

النخاس – من سمرقند يا مولاي.

الوزير – لا ... لا ... لا أريدها.

النخاس – ولماذا يا مولاي؟ إنها جميلة كما ترى ... وأفضل من عزفت على العود في الشرق والغرب.

الوزير – يا ابني أنا لا أبحث عن المتاعب بيننا وبين سمرقند مشاكل سياسية ... وأنت تعـ ـرفهم يتسـ ـقطون لنـ ـا الأخطاء. سيدعون أن هذه الأفاقة أميرة سـ ـمرقندية وأننا خطفناها ويعلنون علينا الحرب. وفي هذه الأيام

ليس لدينا جيش نصفه يستعد للاحتفال بعيد الـ والي والنصف الآخر في بعثات لدراسة فنون الحرب ... هاتها بعد العيد وعودة البعثات سأشتريها منك فورا.

(و. الوزير يحاول الميل على الوزير).

الوزير – عارف. ستقول لي نهديها لوزير الديلم ... ولكـ ن من يضمن لي ألا ينقل الجواسيس إلى سمرقند أنـ ا نحن الذين أهديناها له ... ابعد عن الشر وغني له.

(النخاس يتقدم بالجارية الثالثة وهي أجملهن).

النخاس – دعد ...

الوزير – لا تقل كلمة أخرى يا رجل، فتفسد جمالها برخيص الكلمات (لوزيره) هذه اشتريها ولو تسـ ببت فـ ي مشاكل مع العالم كله.

النخاس – إذا كان لي موهبة فهي معرفة مزاج مولاي.

الوزير – كدت أفقد فيك الثقة لولا هذه البنت ...

النخاس – أنا كالغواص الماهر أبحث عن روائع اللؤلؤ فـ ي أعماق البحار ... وأعاني من ذلك الكثير.

الوزير – وما هو ثمن اللؤلؤة أيها الغواص.

النخاس – خمسة آلاف دينار ...

الوزير – يخرب بيتك جارية بخمسة آلاف دينا ... لو كانت
زوجتك بكم تبيعها.

النخاس – زوجتي أبيعها بدرهمين ... على الأكثر ...

الوزير – (لوزيره) يا وزيري العزيز هل نستطيع أن ندفع
في الأدوات الكتابية خمسة آلاف دين ار؟ (وزي ر
الوزير يميل إليه ويتهامسان).

الوزير – خلاص. سنستغل أزمة المساكن ون ؤجر المبن ى
الخلفي من ديوان الوزارة ...

(النخاس يتقدم بالجارية الرابعة).

النخاس – شهر زاد ...

الوزير – غير شهر زاد ألف ليلة؟

النخاس – أفضل يا مولاي ... لأنها تحكي ألف ألف حكاي ة
... فضلا عن قدرتها على التأليف الفوري.

الوزير – ولماذا تبيعها يا ابني؟ احتفظ بها وس تدر علي ك
ذهبا. تكتب القصص والحكايات والمسلسلات وأن ت
تبيعها.

النخاس – لكنها لا تعرف القراءة والكتابة.

الوزير – وهل كل من يكتبون هذه الأشياء يعرفون الق راءة والكتابة؟

النخاس – لست متخصصا بهذا النوع من التجارة.

الوزير – نأخذها (لوزيره) عليك بها ... هي تحكي وأنت تكتب وتبيع.

الوزير – أمرك يا مولاي (الوزير يلمح هند)

الوزير – أنت تخفى الدرر الغالية للنهاية ... سأشتري مذ ك هذه الجارية.

النخاس – وما له يا مولاي ...

هند – وما له؟ ماذا تقول يا رجل ...

النخاس – هل كنت تحلمين بذلك؟ ستكونين جارية في قصر مولاي الوزير.

هند – ابعد عني أنا حرة.

و. الوزير – لا داعي لكلمة حرة هذه ي ا امر رأة ... إنه ا تضايق مولانا ...

الوزير – دعها يا وزيري ... إنها تخرج من فمها كالسكر ...

و. الوزير – مع أن مولانا أمر بإع دام تس عة رج ال لأن أحدهم قالها ...

الوزير – الحرية نعمة يا وزير لا يستحقها كل الناس. الماس غالي. وهو أيضا جميل ... لكن لو تزين به الذ اس كلهم لما أصبح لا غاليا ولا جم يلا. تح ول إلـ ى زجاج. كذلك الحرية هي ماسنا الغ الي. لا نس مح للسوقة بامتلاكه.

النخاس – يا نبع الحكمة.

(الوزير يتقرب من هند في تودد).

الوزير – إذن فأنت حرة أيتها السيدة؟

هند – نعم يا مولاي ...

الوزير – وما جاء بك إلى هنا؟

هند – جئت أقدم شكوى.

الوزير – شكوى؟ وهل هذا وقت الشكاوى (لوزيره) أل ف مرة قلت لكم نظموا الشغل. حددوا مواعيد الشكاوى

و. الوزير – الآن وقت الشكاوى.

الوزير – يا سلام. الآن ... (مشيرا إلى الجواري) تسميهن شكاوى.

و. الوزير – لقد كانت هذه الساعة مخصصة للشكاوى ف ي أيام جدك.

النخاس – الله يرحمه.
و. الوزير – والدليل على ذلك يافطة في الخارج. لكن منذ زمن طويل لم يأت أحد للشكوى واليافطة أصابها الصدأ.
الوزير – ولماذا لا يأتي الناس للشكوى يا وزيري؟
و. الوزير – أمر لا يخفى على ألمعية مولانا الوزير ... لأن العدل استتب في الولاية كلها بفضل حزمه.
الوزير – تظن هذا؟ لم إذن تأتي هذه الست؟
و. الوزير – ومن أدرانا أنها ليست شكوى كيدية.
هند – ليست كيدية والله ... (الوزير يتأمل هند).
الوزير – أمعقول أن تقدم هذه الست شكوى كيدية؟
هند – إلهي ينصفك يا مولاي.
الوزير – (يصفق) انصراف للجميع حتى نسمع للشكوى التي ليست كيدية.
(يبدأون في الانصراف).
النخاس – معذرة يا مولاي ... ولكن ثمن الجواري ...
الوزير – اذهب للشئون المالية ... المسألة تحتاج إلى ترتيب.

النخاس – (مغمغما) إذن لن نحصل على درهم واحد ...

(الجميع ينصرفون ما عدا الوزير ووزيره وهند).

الوزير – ما الحكاية يا ست؟

هند – الحكاية تبدأ عندما كنت أتنزه على شاطئ البحر ...

و. الوزير – اختصري يا امرأة ...

الوزير – ولماذا تختصر؟ أتريد أن تحرمنا من هذا الصوت الجميل؟ تكلمي يا ست وأطيلي ... أطيلي بقدر ما تستطيعين.

هند – كنت ماشية في حالي شافني مدير السجن ...

الوزير – ابن الهرمة نظره ستة على ستة.

هند – من يومها وهو يتابعني ... وعندما تجهمت في وجهه ... أمسك بأخي حسن وحبسه ...

الوزير – أترى يا وزيري؟ وتقول شكوى كيدية؟

و. الوزير – مولانا الوزير نشر العدل. لكن مدير السجن هو الوحيد الذي شذ عن القاعدة.

هند – ليس الوحيد ... المحتسب ...

الوزير – شذ أيضا؟

هند – راودني عن نفسي ...

الوزير – ومن أيضا؟

هند – لا أحد ... جئت لمولاي فورا ...

الوزير – جئت المكان الصحيح يا امرأة. ماذا حدث للنـ ـاس؟ انقلبوا إلى وحوش؟ ماذا أفعل؟ أختار أفضل الرجال وأحسنهم خلقا فلا تمضي شهور حتى أشم رائحـ ـتهم النتنة ... هل أتولى كل الأعمال بنفسي؟ ألا يوجـ ـد في هذا البلد مواطن صالح غيري (لهند) لا تقلقـ ـي أخوك سيخرج من السجن وسنعاقب الرجلين عقابـ ـا رادعا. (لوزيره) هل لدى وقت خال هذا الأسبوع؟ (و. الوزير يفتح دفترا).

و. الوزير – مولاي مشغول خلال أربعة أشهر القادمة ...

الوزير – دبر لي وقت ...

و. الوزير – موعد الكاتب بعد شهر ونصف. يقولـ ـون إنـ ـه مريض إذا مات قبل ذلك يكون مولاي خاليا ثـ ـلاث ساعات ...

الوزير – يا ملعون دبر لي ولو ساعتين خلال هذا الأسبوع.

و. الوزير – يوم الخميس بعد المغرب فيه اجتمـ ـاع لجنـ ـة التنمية ...

الوزير – ألغيه ... أفضل لنا أن ننمي علاقاتنا مع الجماهير ...

و. الوزير – أمر مولاي ...

الوزير – (لهند) اطمئني يا شابة سأكون عندك يوم الخميس بعد المغرب.

هند – الله يخرب بيتك يا حسن ...

(ستار)

(وفي اليوم الرابع والعشـ ـرين
من شهر شـ ـوال ... أقـ ـاموا
احتفالا كبيرا في قصر الـ ـوالي
وتسـ ـابق المتسـ ـابقون لـ ـدفع
بعضهم البعض إلى الخازوق)

المشهد الأول

(غرفة في بيت هند، لها باب واحد ضخم.
أربعة صناديق كبيرة موضوعة في الواجهة النجار
يرتب الصناديق ... هند تستلمها منه)

النجار – واحد ... اثنان ... ثلاثة ... أربعة ... أربعة
صناديق ... صح؟

هند – صح ...

النجار – المقاس مضبوط؟

هند – أظن ذلك ...

النجار – أموت وأعرف ماذا ستفعلين بهذه الصناديق ...

هند – ألم نتفق ... لا أسئلة ...

النجار – صح. الزبون دائما على حق ... أبي رحمه الله
كان يردد هذا دائما.

هند – مضبوط.

النجار – بشرط أن يدفع. أبي رحمه الله كان يفتح رأس
الزبون الذي لا يدفع بالشاكوش.

هند – سأدفع لم أعترض.

النجار – (يقترب منها في رغبة) حالا ...

هند – (تبتعد) تحشم يا رجل.

النجار – لا ... الدكان لا يبيع نسيئة ... أبي رحمه الله كان يتقاضى أجره مقدما.

هند – أنا لم أقل شيئا. لكن ألم تلاحظ أن الخادمة هنا؟ سأبعدها إلى مكان ما (النجار يجلس على الأرض).

النجار – أبعديها وأنا قاعد هنا ...

هند – كيف؟ أقول لها ابتعدي لأن في غرفتي رجلا ... تأدب يا نجار.

النجار – (يقف) الصبر ... ماذا تريدين يا ست ... الشغل وقدمناه على أكمل وجه. الثمن ونريده فورا ... ماذا تريدين؟

هند – الصبر.

النجار – الصبر سأخرج وأعود بعد ساعة لكنني أقسم برأس أبي رحمه الله إذا كانت هناك ملاعيب فلن أستخدم أقل من الشاكوش.

هند – عيب يا معلم. وهل نحن مـ ن أصـ حاب الملاعيـ ب
(النجار يخرج – هند تتفقـ د الصـ ناديق – سـ نية تدخل).

سنية – ستي ... ستي ... رجل يا ستي.

هند – من منهم؟

سنية – وما أدراني. هل أنا من البنات اللائي يعرفن الرجال. أنا بنت مؤدبة ... مهذبة ثم إنه ملثم كيف أعرفه؟

هند – هاته ... ولا تنسي ما اتفقنا عليه ...

سنية – أمرك يا ستي ...

(سنية تخرج. هند ترتب زينتهـ ا. الـ وزير يـ دخل مقنعا) (يرفع اللثام).

الوزير – في الموعد بالضبط ... أليس كذلك؟

هند – (بدلال) كل وقت يأتي فيـ ـه مـ ولاي هـ و موعـ د مضبوط.

الوزير – دقيق جدا في مواعيدي. عندما أعمل بنظام الدولة كلها تسير بنظام. لا وقت لدينا للثرثرة. ليس أمـ امي سوى ساعتين. نصفها يضيع في المواصلات.

هند – (باسمة) يبدو أن مولاي مستعجل جدا ...

الوزير – هكذا أنا. أحب أن آخذ كل شيء بسرعة ... هـ ذه هي الطريقة الوحيدة لكي يأخذ الإنسان كل شـ يء. بعض الحمقى يدرسون ثلاثين عاما أو أربعين عاما كي يصبحوا من الحكماء. أنا اشتريت واحدا مـ نهم يشير على في كل شيء وهكذا صرت حكيما. بعض الكسالى يعملون ثلاثين عاما كي يصيروا وزراء أو دون ذلك. أما أنا فقد كسبت الوالي في يوم وصرت وزيره في اليوم الثاني. بسرعة ... بسرعة ... ينال الإنسان كل شيء ... الحياة قصيرة يا هانم.

هند – الصبر جميل أحيانا ...

الوزير – غلط. في حالة مثل حالتنا هذه أين مكان الصـ بر؟ ألسنا متفقين على كل شيء ...

هند – متفقان طبعا. لكن زوجي ...

الوزير – وما دخل زوجك بهذا ... (منتبها) زوجك؟ ألـ م تقولي إنك أرملة؟

هند – قلت ...

الوزير – ماذا حدث لنساء الولاية؟ هـ ل مـ ن الممكـ ن أن تتزوجي بهذه السرعة.

هند – لم أتزوج.

الوزير – الله ... فزورة محيرة. لم تتزوجي ولك زوج. ليس أمامي سوى ساعتين يا امرأة.

هند – قلت إنني أرملة وكان ذل ك صد حيحا ... والآن أذ ا زوجة وذلك صحيح أيضا.

الوزير – هل قلت لك إن المواصلات تأخ ذ مذ ي س اعة تقريبا؟

هند – نعم يا مولاي.

الوزير – إذن لماذا تضيعين وقتي؟ أنا جئ ت أبح ث ع ن المتعة لا عن الألغاز.

هند – ببساطة كان لي زوج يحارب مع ج يش ال والي ... كان محاربا شجاعا. قتل من الأعداء ف ي معرك ة واحدة سبعين فارسا.

الوزير – أعرف ... فمثل هذه القصص نؤلفها ف ي دي وان الوزارة ...

هند – سافر مع جيش الوالي منذ خمس سنوات ... ودعت ه حتى سور المدينة ... انتهت الحرب. رجع زملاؤه. بعضهم قالوا إنه مات ... في البداية لم أصدق. ليس

بين فرسان الأعداء من يقدر على قتله ... ثم لما
طالت غيبته بدأت أصدق ... تقبلت الواقع حتى
صباح اليوم رأيته أمامي ...

الوزير – (ساخطا) ألم يكن قد مات وانتهى ...

هند – كان جريحا ... زملاؤه ظنوا أنه قتل ... شفي من
جراحه وعاش هناك خمس سنوات ... ثم اشتاق إلى
أرضه ... وبيته ... وزوجه ... فعاد.

الوزير – ديوان الوزارة بما فيه من كتاب وشعراء وحكماء
عاجز عن تأليف قصة مثل هذه القصة الخرافية.
ومع ذلك فلو كان هذا حقيقيا. فإنه لا يهمني لقد اتفقنا
على شيء ويجب أن يحدث ...

هند – أنا إذا وعدت وفيت ... لكنني أحببت أن أنبهك إلى أن
زوجي خير من حارب بالسيف في البلاد.
نصف سكان قبور هذه الناحية من ضحاياه.

الوزير – (بقلق) وأين هو الآن؟

هند – راح يزور أمه

الوزير – ومتى يأتي؟

هند – من يعلم (الوزير يسير مفكرا ثم ينفجر)

الوزير – حتى لو كان عنترة بن شـ ـداد ... أنـ ـا قاعـ ـد ...
(يعطيها ورقة) وهذا صك الإفراج.
هند – لست أعرف كيف أشكر مولاي؟
الوزير – تعرفين ... تعرفين جيدا ... (يضع يـ ـده علـ ـى كتفها)
هند – مولاي متعجل ...
الوزير – (ساخطا) بعد كل هذا ... متعجل ... الوقت يمر ... وعنترة على وشك الحضور وتقولين: متعجـ ـل (يضع يده على كتفها)
هند – أخشى أن يفهم مولاي من كل ذلك شيئا غير عواطفي الحقيقية
الوزير – (مبتهجا) عواطفك؟ إذن فأنت تحبينـ ـي وأنـ ـا لا أعرف. ما أقساني متى بدأ ذلك؟ احكي لي
هند – (بصوت عال وفي اتجاه الباب) حبي لك لم تعرفـ ـه الدنيا من قبل
(قرع عنيف على الباب ... الوزير يقفز واقفـ ـا ... وكذلك هند ولكن في غير صدق)
خلاص قولي له إنني أتيت لأتفقد شئون الرعية ...

هند – زوجي ... زوجي ...

الوزير – (مهدئا من ذعره) أليس من الممكـ ن أن يكـ ون شخصا آخر؟

هند – لا يقرع الباب بهذه الطريقة أحد غيره

الوزير – سيهد البيت ...

هند – لأنه من عادته أن ينقر على الباب بأصابعه.

الوزير – ما العمل؟

هند – أنا حائرة ...

الوزير – (غاضبا) حائرة هل هذا وقت الحيـ رة ... ألـ ن يحضر هذا البغل الآن؟

النخاس – وماذا بيدي يا مولاي ...

الوزير – خلاص قولي له أنني آتيت لاتفقد شئون الرعية

هند – حل عظيم ... لكنه عندما يـ راك لـ ن يسـ معني ... بالتأكيد سيقتلك قبل أن يسمع كلمة واحدة

الوزير – يقتلني؟ بهذه السهولة؟ أليس فـ ي البلـ د شـ رطة وقضاء؟

هند – حاول أن تفهمه يا مولاي. لقد عاش خمس سنين بعيدا عني ... وبالتأكيد عذبه الشك طويلا

الوزير – (نافد الصبر) فكري في حل ... لا تضيعي البلد في حماقة ...

هند – (تتلفت حولها حتى تجد الصندوق) لا حل غير هـ ذا الصندوق

الوزير – لا ... لا ... مستحيل ... وزير الولاية ... ابـ ن وزير الولاية ... حفيد وزير الولايـ ـة يختبـ ـئ فـ ـي صندوق؟

هند – أنا خائفة على مولاي. خائفة على الولاية بعدك.

الوزير – لكن كرامتي.

هند – إذن فمولاي يريد التضحية بحياته؟

الوزير – أنا لا أحب التضحية بأي شيء: لا بكرامتـ ـي ولا بحياتي

هند – لابد من الاختيار يا مولاي. هذه هي الحيـ ـاة. دائمـ ـا هناك لحظة اختيار. قد تؤجل كالموت ولكنهـ ـا لابـ ـد آتية. وعلى الإنسان في النهاية أن يختار، وفي لحظة الاختيار يتكشف معدنه الحقيقـ ـي. ويسـ ـقط طـ ـلاء الزيف. أمامك الآن الاختيار يـ ـا مـ ـولاي. المـ ـوت

بكرامة ... أو النجاة بلا كرامة ... ولا حـ ـل ثالـ ـث

(الطرق يعود عنيفا)

هند – هل يطول اختبائي؟

اطمئن سأبعده بعد قليل ... وأخرجك. واتفاقنا كمـ ـا

هو ...

الوزير – ملعون هذا الاتفاق. المهـ ـم أن أخـ ـرج مـ ـن هنـ ـا

(الوزير يدخل الصندوق. هند تغلقـ ـه عليـ ـه بقفـ ـل

ضخم)

الوزير – (من الداخل) كما لو كان قد فصل عليّ

هند – مولاي ينطق الحكمة دائما ... هل أنت مستريح الآن؟

الوزير – جدا ...

هند – يا تعاستي برجال لا يستريحون إلا وهـ ـم مختبئـ ـون

(الخادمة تدخل)

سنية – كل شيء ...

هند – (تكمل وتشير إلى الصندوق) على ما يرام.

سنية – هناك رجل آخر ...

هند – (وهي تعدل زينتها) ليتفضل ...

(ستار)

المشهد الثاني

(نفس ديكور المشهد السـ ـابق. الصـ ـناديق الأربعة وحدها. صمت يعقبه حوار المحبوسين فـ ـي الصناديق ... ترتيبهم من أعلى: النجار – المدير – المحتسب – الوزير) ...

المدير – إنني أختنق.

النجار – بسم الله الرحمن الرحيم ... إنس والا جن؟

المدير – إنس يا نجار النحس ...

النجار – إنس طبعا ما دمت طويل اللسان هكذا ... لا شـ ـك أن الجن أكثر أدبا. ولكن ليس لمثلي يقال هذا الكلام. كلمة أخرى وأقطع لسانك.

المدير – (يضحك ساخرا) اخرج أولا. ثم افعل ما تستطيع يا صعلوك

النجار – أين أنت؟

المدير – في الصندوق الذي تحتك

النجار – ومن الذي أدخلك فيه؟

المدير – الذي أدخلك يا منحوس (صمت)

النجار – من أنت

المدير – لا شأن لك

النجار – تتكلم بطريقة أعرفها جيدا في العسكر.

المدير – هدوءا يا بغل ...

النجار – لكننا سنختنق هنا ...

المدير – وماذا بأيدينا؟ أهل البيت لعنهم الله تركوه ورحلـ وا ... والبيت بعيد عن البلد ولن يكتشف وجودنا قبـ ل سنة إحصاء ...

النجار – نكون قد متنا وأكلنا الدود

المدير – ألا تعرف ألفاظا أفضل من هذه ...

النجار – الدود لا يهاب ميتا ...

المدير – محبوس، وفوقي سافل. أنا يحـ دث لـ ي هـ ذا ... ولماذا؟ من أجل امرأة

النجار – (ضاحكا) أنا أيضا حدث لي هذا ... ودون قبلـ ة واحدة

المدير – ضحكت علينا القحبة

النجار – بنت ولا كل البنات ... بصراحة أعجبتني.

المدير – تدافع عنها؟ إذن اخرس نهائيا ...

النجار – ولماذا؟ الرجولة يا سيدي هي أن تقول الحق ولـ ـو على نفسك. لقد اشتهيتها بل ومازلت ومع ذلك فأنـ ـا غلطان. امرأة شريفة ووحيدة ... عيب ما فعلناه ... والله ولا الحيوانات ...

المدير – كف عن قلة الأدب يا نجار

النجار – تتكلم بلهجة الشرطي. وحتى لو كنـ ـت كـ ـذلك: لا يجب أن تكلمني هكذا. يا عم نحن في الهم سواء.

المدير – ضاعت المقامات في هذا البلد. اسمع يا ولد. لقـ ـد صبرت على طول لسانك ورفع الكلفـ ـة ... ولكـ ـن يجب أن تدرك أنت مجرد نجار ... وأنـ ـا ... أنـ ـا رجل محترم .

النجار – تعني أنني لست محترما.

المدير – أنا من الحكام يا ولد.

النجار – كذاب ونهايتك جهنم ... متى كان الحكام يحبسـ ـون في الأدوار السفلى؟

المدير – آه لو عرفت لمت خوفا.

النجار – (ساخرا) كأنك سيدنا المحتسب ...

المدير – وكيف عرفت؟ إنني فعلا المحتسب ...

المحتسب – اخرس

المدير – ماذا تقول يا ولد

النجار – أنا لم أنطق.

المدير – اتغير صوتك يا نجار النحس؟

النجار – أنا أم أنت ... يا سعادة المحتسب.

المحتسب – اخرس أنت أيضا ...

النجار – (فزعا) بسم الله الرحمن الرحيم

المدير – هناك شخص ثالث هنا ...

النجار – (صائحا) عفريت ... عفريت ...

المدير – لا ... إنه المحتسب

النجار – في الغرفة محتسبان.

المدير – لا رحنا في داهية

النجار – إذن أنت لست المحتسب.

المدير – لقد أتى ليقبض علينا ... الملعونة بلغت بأمرنا يـ ا نجار

النجار – ألست أنت المحتسب؟

المدير – ضعنا يا نجار

النجار – إذن قد كذبت علي. لماذا؟

المدير – كف عن هذا اللغو. السجن في انتظارنا يا نجس.

النجار – السجن أهون من أن نختنق هنا

المدير – صح. أهم شيء أن نخرج من هنا. ثم نتصرف بعد ذلك. أنا أعرف جيدا كيف أتفاهم مع سعادة المحتسب ...

النجار – أفهم: لماذا كذبت علي؟

المدير – (مناديا) سعادة المحتسب ...

المحتسب – نعم يا سعادة مدير السجن

النجار – مدير السجن. لكن لماذا كذبت؟

المدير – ألن تخرجنا من هنا يا سيدي؟

المحتسب – أتعرف من سيخرجك من هنا؟

المدير – (بريبة) من؟

المحتسب – (ضاحكا في ابتذال) نعيمة العوادة ...

المدير – (ضاحكا في مجاملة) حلوة ... نكتة ظريفة.

النجار – ومن هي نعيمة العوادة؟

المدير – اخرس يا كلب. يا سعادة المحتسب. أنا ... مستعد للمحاكمة (بلهجة خاصة) ومستعد للحبس في جناح رقم 4 ... تعرفه طبعا؟

النجار – حبس ... كذاب وغبي. يـ ا أخـ ي لاطفـ ـه كلمـ ـه بالحسنى لكي يخرجنا من هنا. أنتمـ ا مـ ن الأكـ ابر والأكابر يراعون بعضهم خوفا من شماتة أمثالنا.

المحتسب – يا سعادة المدير. أعانك الله علـ ى محنتـ ك ... ستظل محبوسا هنا حتى ينفذ الله أمرا كان مقضيا.

المدير – (متباكيا) مظلوم والله مظلوم. الله يكرمك ويحفظ لك أولادك. أنا أعول عشرة أطفال أبرياء مظلوم يـ ا مولاي مظلوم.

المحتسب – ليس بيدي والله ...

النجار – انتظر ... انتظر ... (صمت) المحتسب يتكلم من تحت ... (ضاحكا) سيدنا المحتسب متصندق

المدير – احذر يا ولد مما تقول

النجار – أنا أسمعه جيدا.

المدير – أين أنت يا سعادة المحتسب؟

المحتسب – في الطابق الثاني يا مغفل

المدير – (ضاحكا في عصبية) أنت أيضا يا محتسب.

المحتسب – تضحك؟ (يقلده) أعطيني قبلة يا قطة، هل هذا غزل يا خنزير ... تعالى أجلسي عل ى ... س وقي ومبتذل.

(صمت)

المدير – أصحيح أننا انتهينا؟

المحتسب – الصبر.

المدير – لن يقتلنا شيء سوى الصبر.

المحتسب – لا شك أن الوالي س يدرك غيبتن ا ... وي أمر بالبحث عنا في كل مكان ...

النجار – فرصة للبلد تشم رائحة العدل.

المحتسب – وقح ...

المدير – سافل.

النجار – لو كنت أع رف كن ت عمل ت س تين ص ندوقا

(صمت)

المحتسب – يا ساتر. صداع، فات موعد قهوتي.

المدير – وأنا عطشان

النجار – وأنا أسوأ من هذا ... وذاك ...

المدير – ولماذا يا ولد؟

النجار – أريد أن أفك نفسي ...

المحتسب – ماذا يقصد هذا المتشرد؟

المدير – إنه يريد أن ...

المحتسب – (مقاطعا في فزع) فهمت ... إياك يا نجار ...

المدير – إلا هذه ... تكون هيبتي قد ضاعت نهائيا ...

المحتسب – إنها نجاسة يا ولدي ...

النجار – لكنني مضطر ...

المحتسب – اصبر ... غدا يأتي الفرج.

النجار – غدا؟ غدا أكون قد فككت نفسي عشر مرات على الأقل ...

المحتسب – هذا ليس عدلا ... كان يجب عليهم أن يضعوا النجار في الدور الأول ...

المدير – هذا هو عيبنا يا أولاد العرب. لا نعرف النظام

(صمت)

النجار – لابد أنه كبير الكبراء ...

المدير – من يا ولد؟

النجار – المحبوس في الصندوق الأول.

المدير – أي صندوق؟

النجار – هناك أربعة صناديق ... أنا صد ندوق ... المد دير صندوق ... المحتسب صندوق ... من في الصندوق الرابع؟

المدير – معقول ... من؟

المحتسب – ربما كان فارغا.

النجار – لا أظن ... البلد فيها أزمة سكن.

المدير – نشوف ... (ينادي) أخانا يا من تسكن تحت، رد علينا. كلمنا ... تسلي معنا بالحديث ... إلـ ى متـ ى تخفي نفسك ... ولماذا؟

(صمت)

المحتسب – ألم أقل لكم انه فارغ

المدير – هناك أحد ... حاسة الشم لدى قوية.

النجار – وبالطبع يعرفنا كلنا. لأنه أول من سكن

المدير – ولا يتكلم لأن مركزه كبير جدا ...

النجار – ربما كان الحاجب ...

المدير – حسب معلوماتي ... وهي معلومات دقيقة جدا كما يعرف الجميع: الحاجب لا يعشق شيئا سوى المـ ال. ولأنه يتعاطى الرشوة كل نصف دقيقة فهو لا يجـ د

وقتا للنساء. ومعلوماتي تؤكـ د أن زوجتـ ـه وهـ ـي
بالمناسبة صغيرة وجميلة مـ ـا إن تـ ـرى رجـ ـلا ...
أستغفر الله لا داعي للنميمة في موقفنا هذا.

المحتسب – لكن لا تنس أن تحكي لي كل شيء بعد خروجنا من هنا بإذن الله ...

النجار – أنت متأكد يا سعادة المدير أن الحاجب يأخذ رشوة كل نصف دقيقة

المدير – انه إحصاء يا جاهل

النجار – إذن متى يفك عن نفسه؟

المحتسب – الله يخرب بيتك. كف عن هذه القصة

النجار – طيب. أعاني وحدي والأمر لله. خطرت لي فكرة: ألا يمكن أن يكون صاحبنا هو الوزير.

المدير – لديه 365 جارية ... وبالتأكيد كره النساء ...

النجار – إذن فهو الوالي نفسه ...

المدير – يا ليت ... عشرون عاما وأنا أتجسس عليـ ـه. لـ ـو كنت ضبطته يكلم امرأة لكان لقبي الآن: الوزير

النجار – ربما كان القائد ...

المدير – للأسف نتائج معاركه في غرف النوم هي نفسها
نتائج معاركه في ميادين القتال ...

المحتسب – إذن لا أحد هناك ... (صمت)

النجار – يا جماعة لقد تعبت ... أنا لا أرى ضررا في
أفعلها

المحتسب – كن ولدا لطيفا وتحملها ...

النجار – أنا أعاني ...

المدير – كلنا نعاني ... ولكننا نتحمل ... أنا أيضا أريد أن
أفك عن نفسي. ولكن من أجل خاطر سيدنا المحتسب
لا أفعل ...

النجار – لكنني أموت ... يرضيكم موتي.

المحتسب – كلنا سنموت يا ولدي ولكن علينا أن نموت
بكرامة ...

النجار – سأفعلها

المدير – ربنا يفك ضيقتك ... أجل ذلك ...

النجار – (بتصميم) سأفعلها وليحدث ما يحدث ...

الوزير – إياك يا ابن الكلاب

النجار – (فزعا) من؟

المدير – الوزير

المحتسب – الوزير ...

النجار – نهار أسود ... الحكومة كلها محبوسة تحتي

(ستار)

المشهد الثالث

(غرفة هند ... الصناديق كما تركناها في الفصل السابق – تسود لحظات صمت قبل أن يدخل جنديان – ثم المنادي)

المنادي – مولانا الوالي ...

(يدخل الوالي ... يتبعه حارسه وهند وحسن وبعض الحرس)

الوالي – هل تدركون خطورة ما تدعون ...

حسن – كل ما قلناه حقيقة يا مولاي

الوالي – أنت تغامر بعنقك أيها الشاب

حسن – لأنني متأكد من صحة ما أقول

الوالي – (لهند) سأكون آسفا لو كنت كاذبة. لا تستحقين العقاب الذي سأفرضه عليك

هند – كذبة كبيرة مثل هذه تحتاج إلى كبار ... ونحن لسنا إلا من صغار الناس ...

الوالي – أرجو أن يكون ما تدعون صحيحا حتى لا يقع عقابي عليكم ... وأرجو ألا يكون صحيحا حتى لا

أفقد دهشتي ... أمام أي شيء بعد ذلك ... (للجنود افتحوا الصناديق)

الوالي – ليس هكذا ... بنظام ... افتحوا الصندوق الأعل ى أولا ...

(الجنود يفتحون الصندوق الأعلى ... يخرج النجار منكمشا مذعورا ... يندفع إل ى الاتج اه المع اكس للوالي ... الجنود يمسكون به ويعيدونه)

هند – إنه النجار يا مولاي ... هو الذي صنع الصناديق

النجار – أنا بريء يا مولاي ... مظلوم يا مولاي (ين دفع في الاتجاه المعاكس فيعيده الجنود)

الوالي – إلى أين تريد الذهاب يا نجار؟

النجار – أعز الله مقام مولاي ... سأموت إن لم أذهب إل ى الحمام فورا.

الوالي – ألا تستطيع الصبر قليلا؟

النجار – الصبر ... إذن أنت لا تصدقني يا مولاي ... ف ي هذا الشيء لا أستطيع الصبر

الوالي – (للجنود) اذهبوا به إلى حيث يريد، ثم أعيدوه

(الجنود يخرجون بالنجار)

(الجنود يفتحون الصندوق – يخرج مدير السجن ينفض الماء عن ملابسه في قرف – ثم ينحني أمام الوالي باحترام) ...

الوالي – ما شاء الله ... ما شاء الله

المدير – أعز الله مولانا الوالي ... وأيد حكمه العادل، ومنحه الصحة والعافية.

الوالي – مدير السجن محبوس في صندوق؟ لست أردي هل أغضب أم أضحك؟ (عنيفا) لماذا أنت هنا؟

الوالي – سأجيب على سؤال مولاي بإذن الله – سأكشف ما يبدو غامضا. ولكن ذلك يستغرق بعض الوقت وهناك أمر أكثر خطورة، ولا يتحمل التأخير لحظة واحدة ... ولو كان خاصا بي ما اكترثت ... ولكنه خاص بمولانا وصاحب نعمتنا ... فهل تسمحون لي؟

الوالي – ماذا تريد؟

المدير – بعد إذن مولاي سألقي القبض على هذين (يشير إلى هند وحسن)

هند – هل هذا جزاؤنا؟ جئنا نفرج عنك فتطلب حبسـ نا ...
(حسن) ألم أقل لك نكمل هربنا. فأخذت تقول لي: رسالة وأريد أن أبلغها؟

الوالي – صمتا (للمدير) ولماذا تريـ د أن تقـ بض علـ ى هؤلاء؟

المدير – حياة مولانا في خطر، طالما أن هؤلاء أحرار.

الوالي – هكذا. لكنهم جاءوا إلى قصري. وبقوا عندي فتـ رة ... وصحبوني إلى هنا ولم يبد منهم شيء

المدير – إنهم ملاعين وخبثاء ... وأنا متأكد أنهم يتـ آمرون على حياة مولاي ... فهل تسمحون لـ ـي بـ أن أؤدي واجبي.

الوالي – بل تقف مكانك لا تتحرك ... وإذا تحركـ ـت طـ ـار عنقك ... أتفهم هذا؟

المدير – (مهزوما) أفهمه

الوالي – (للجنود) افتحوا الصندوق التالي ...

(الجنود يفتحون الصندوق ... ويخرجون المحتسب وهو يبعد ثيابه عن جسده)

الوالي – (ساخرا) حارس العدل في البلاد

المحتسب – وهكذا يثبت لنا كل يوم يا مولاي أننا بـ دونك لا نساوي فلسا. من لنا سواك يا راعي الحق والعـ دل. مهما كنا ومهما فعلنا فنحن نحس بالضآلة إلى جوار أياديك البيضاء ... لولاك يا مولاي لقضـ ى عليذ ا هؤلاء السفلة ... ولكنك أتيت فارسـ ا شـ هما لتنق ذ رجالك المخلصين ... فهنيئا لنا بك بطـ لا عظيمـ ا وهنيئا للولاية بك حاكما عادلا.

الوالي – (لمن خلفه) أرأيتم مثل رجالي في النفاق؟

المحتسب – النفاق ... أستغفر الله العظيم. والله ما كرهـ ت في حياتي يا مولاي أكثر من النفاق والمنافقين.

الوالي – أترى هذا المدير؟

المحتسب – (كما لو كان يراه لأول مرة) صـ ديقنا مـ دير السجن هنا؟ (يصافحه) أهلا بك ومرحبا ...

الوالي – قف إلى جواره ولا تتحرك.

المحتسب – أمر مولاي مطاع. ولكن عذرا يـ ا مـ ولاي لا طاعة في معصية

المدير – (محتجا) الوقوف إلى جواري معصية يا محتسب.

المحتسب – حاشا الله فأنت رجل فاضل على خلق عظ يم.
لكنني أريد الاستحمام والوضوء، فلقد فاتتني كثير من الفروض في محنتي أبقى الله مولانا لأن ه أنق ذني منها.

الوالي – ذنبك عليّ أيها المحتسب

هند – الأمان يا مولاي، لا يوجد إنسان قادر عل ى تحم ل ذنوب سيدنا المحتسب

المحتسب – إهانة ... إهانة يا مولاي

الوالي – لدى فكرة جيدة لك ... تخيل أنك مازلت محبوس ا في الصندوق واصمت وإلا ... (للجنود) الصندوق التالي. (الجنود يفتحون الصندوق ويخرجون الوزير وهو متأفف من ثيابه).

الوالي – يا خجلي من أي عين ترى ما أرى. ماذا س يقول عني التاريخ؟ حتى وزيري يختفي في الصندوق كما لو كان مهرجا رخيصا.

الوزير – أسعد الله مساء مولاي ... ما شاء الله الصحة تبدو على وجهك المشرق.

الوالي – (ساخرا) هكذا؟

الوزير – لا شك أن مولاي اتبع نصيحة خادمه الوفي يأك ل الباذنجان نيا على الريق. إنها وصفة لا تخيب للنشاط المتجدد. ورثتها عن الجدود. وحبسك في صد ندوق ... هل هذا أيضا ورثته عن الجدود؟

الوزير – (متفكها) آه ... تقصد هذا ال . ... لا أذك ر أن أحدا من جدودي وقع في شيء مثل هذا ...

الوالي – وهل تستطيع يا وزيري أن تفسر لي ما أرى؟

الوزير – طبعا يا مولاي ... إنها قصة طريفة ... سنتس لى بها في الليالي الهانئة أدامها الله عليك وجعل أيام ك كلها سعادة.

الوالي – هل لديك مانع أن تحكيها لي الآن؟

الوزير – لا مانع إطلاقا ... ولكن أرجو أن يسمح لنا مولانا بتغيير ثيابنا ...

(النجار يدخل فيواجه الثلاثة بعد دوان: ال وزير – المحتسب – المدير) ...

المحتسب – طوفان ... طوفان يا نجار.

الوالي – هدوءا

الوزير – ليسمح لي مولاي أن أخرج مع النجار دقيقة واحدة ...

الوالي – ولماذا؟

الوزير – بيني وبينه ثأر ... وأريد أن أقتص لنفسي ... لن يهدأ بالي إلا إذا قتلته بالنعال ...

الوالي – تأدب ... كفى ... تأدب لقد جاءوا إلى قصري وحكوا لي حكايتهم، وأكملوها لي في الطريق ... لقد قبضتم على هذا الشاب.

المدير – هذا صحيح ...

الوالي – ولأن هذه السيدة خطيبته ... أرادت الإفراج عنه؟

الوزير – معذرة يا مولاي هل قلت: خطيبته؟

هند – نعم خطيبته.

الوزير – أرملة ومتزوجة ومخطوبة ... هذا كثير

المدير – تزوير ... تزوير في أوراق رسمية ... هذه البنت قالت إن هذا الولد أخوها ... ألم تقولي هذا؟

هند – كذبت حتى أنقذه.

المحتسب – الكذب حرام ...

المدير – تزوير ... أطلب محاكمتهم للتزوير.

الوالي – ستتم المحاكمة فعلا ... ولكن للجميع.

المدير – يجب أن يشنقوا جميعا ...

النجار – ولماذا؟ أنا لم أفعل شيئا يستحق الشنق ...

هند – ما أسهل ما تطلبون شنق الناس ...

الوزير – أيقبل مولانا أعزه الله أن نكون موضع سخرية من غانية وصعلوك ونجار ...

المحتسب – نجار نجس ...

الوالي – لقد جئت إلى هنا أبحث عن الحق ... وسأصل إليه مهما حدث ... فليكن ثمنه غاليا. ولكن يكفيني أنند ي عشت في وهم العدل سنوات ... علين ا جميع ا أن ندفع الثمن غاليا حتى نصل إلى بارقة أمل ... م اذا حدث؟ (يهم الجميع بالكلام)

الوالي – صمتا

الوزير – ألا تعرفون آداب الحديث في حضرة ال والي ي ا غجر

الوالي – تعلم أنت أيضا آداب الحديث واصمت

المحتسب – أيسمح لي مولاي ... أنا لم أفعل شيئا يؤخذ عليّ لقد كنت أريد الزواج من هذه الم رأة بش ريعة الله وعلى سنة رسوله.

هند – زواج بالليل ... وطلاق بالنهار ...

حسن – زواج بالقهر

المحتسب – وأين كان القهر؟ لقد عرضت عليه ا الـ زواج وقبلت، وكاتبي شاهد على ذلك ... اطلبوه واسألوه

هند – هل كنت أستطيع أن أقول لا؟

المحتسب – طبعا ... طبعا ...

هند – لا يا سيدي المحتسب لم أكن أستطيع أن أقولها

حسن – وعندما تكون الإجابة نعم ونعم فقط ... يكون ه ذا هو القهر

المدير – الحكاية يا مولاي ليست حكاية زواج وط لاق ... فالناس في بلادنا يتزوج ون كالأراد ب ويطلق ون كالكلاب ... لكن القضية الحقيقية هي قض ية ه ذا الولد (يشير إلى حسن)

حسن – أنا؟

المدير – لقد تآمر على حياة مولانا

حسن – أنا؟

المدير – منذ ثلاثة أعوام ونحن نراقبه ... كان يقابل بعض المشبوهين

حسن – أنا؟

المدير – راقبناه بدقة ... وعرفنا موعد تنفي ذ الخط ة ...
وكمنا له حول قصر مولانا وقبضنا علي ه بع د أن
قاومنا مقاومة عنيفة ... أصاب فيها ثلاثة من رجال
الشرطة بجراح ...

حسن – أنا؟

هند – اتق الله يا رجل

حسن – وكيف أصبتهم أيها المدير؟ هيا أجب على سؤالي؟

المدير – بالسيف طبعا

حسن – لو كنا نعرف كيف نستخدم السيف ... لم ا كان ت
هناك قضية ولما أتينا هنا ...

المحتسب – هذا تحريض على الفتنة

الوالي – (للمدير) ثم

المدير – وبعد أن قبضنا على هذا الول د، وأوش ك عل ى
الاعتراف ... هرب من السجن، ليعود للتفكير ف ي
جريمته الآثمة ... هذه هي القضية ي ا م ولاي ...
وكل ما عداها عبث لا يصح أن نضيع وقتنا الثم ين
فيه ...

هند – أسطورة ظريفة يا مولاي ... تدل على خيال واسـ ـع ... خاصة إذا ما تنبهنا إلى الوقت القصير الذي ألفوا فيه تلك الأسطورة

حسن – نحن لم نفعل شيئا نخجل منه ... لـ ـم نبـ ـدأ أحـ ـدا بالعداوة يا مولاي ... ولا حتى بالمحبـ ـة ... نحـ ـن فعلنا فقط ما كان يجب علينا أن نفعله ...

المدير – اعتراف ... اعتراف

الوالي – اعتراف بماذا أيها المدير ...

المدير – اعتراف بـ . ... لا أذكر ... إنما هو اعتراف ...

حسن – نحن فعلنا ما كان يجب علينا أن نفعله يا مولاي ... أما هم فقد فعلوا ما كان يجب عليهم ألا يفعلوه

النجار – أنا فعلت ما كان يجب علي أن أفعلـ ـه ... أقصـ ـد برغمي.

المدير – برغمك؟ غدا إن شاء الله تعرف أنه كـ ـان مـ ـديرا (لحسن) وأنت أيضا ... سأسمع اعترافك قريبا إن شاء الله ... هل نسيت (مندفعا)

المحتسب – أعز الله مولاي ... أنا لا دخل لي بالأمر كلـ ـه كما هو واضح ... ولم أفعـ ـل مـ ـا يغضـ ـب الله ...

ولذلك أقول بكل حيدة ونزاهة إن ما تم كان مؤامرة محبوكة الأطراف ...

المدير – مؤامرة ... مؤامرة تدبر لها بعض الجهات.

الوالي – ما هي هذه الجهات؟

المدير – لم نعرفها بعد ...

الوالي – (للمدير) إذن كيف كنت تعرف أن حسن يتـ آمر علي؟ أليس كذلك؟

المدير – أقسم على صحة ما أقول

الوالي – وحاول ذلك فعلا ...

المدير – حاول ...

الوالي – (يقدم له ورقة) إذن لماذا أعطيته صك الإفـ راج هذا؟ (المدير يصمت مرتبكا)

الوالي – تكلم ...

المدير – ليسمح لي مولاي أن اسأل مساعدي ... فهو الذي دبر الأمر لحكمة لا أذكرها ...

الوالي – لعلك فعلت ذلك حتى تراقبه ... وتجمع عنه أدلـ ـة أكثر؟ أليس كذلك؟

المدير – بالضبط هذا ما حدث ... ما أحكمك يا مولاي

المحتسب – يا سلام ... ألا يوجد شيء يخفى عل ى فطن ة مولانا؟

الوالي – (للوزير) ولعلك أنت أيضا أفرجت عن ه لـ نفس السبب ...

الوزير – بالضبط

الوالي – (للمحتسب) وأنت؟

المحتسب – أنا تفاهمت مع السيد مـ دير السـ جن ووضـ عنا الخطة سويا ... ولولا أن حدث مـ ا حـ دث لتمـ ت الخطة بنجاح.

الوالي – أليست صدفة غريبة؟

الوزير – لقد اتفقنا عليها، لأنها خطة منطقية ...

الوالي – ورغم اتفـ اقكم هنـ اك ثلاثـ ة صـ كوك للإفـ راج (صمت) ألا أجد لديكم يا حكمائي تفسيرا لهذا ...

المحتسب – سنجد بإذن الله تكلم يا مولاي الوزير ...

الوزير – تكلم أيها المدير ... فأنت صاحب الأمر ...

الوالي – أطالبكم يا رجالي بأن تجدوا تفسيرا لما حدث ...

المحتسب – أنا لا أستطيع أن أفكر ألا ومساعدي معي

الوزير – أريد أن أقول ...

الوالي – (مقاطعا) الموقف واضح ... لقد فهمت كل شيء ...

الوزير – من حقي كلمة فأنا الوزير ...

الوالي – لم تعد وزيرا ... لقد عهدت إليك بالأماذ ة، لكذ ك خنتها ... كلكم خنتم الأمانة ... ويجب أن تع اقبوا على ذلك ... كلكم معزولون من مناصبكم.

الوزير – (بابتسامة صفراء) أيستطيع مولاي حقا أن يحكم بدوننا ... لقد كنا حكام هذا البلد منذ مئات السنين.

الوالي – لا شك أن هناك من هم أفضل م نكم ... س أبحث عنهم بنفسي ... وسيحكم بدلا منكم إلى ذلك الح ين الحاجب.

المدير – لابد أنه هو الذي دبر كل هذا ...

الوالي – وأنت يا نجار ستقدم للمحاكمة ...

النجار – أنا بريء والله؟

الوالي – ستحاكم لمساومة هذه المرأة فقط.

النجار – يحيا العدل ...

هند – بالنسبة للنجار يا مولاي ... أنا قد تنازلت عن حقي.

النجار – يحيا العدل ...

الوالي – (لهند) وأنت كنت سيدة عظيمة بـ ـلا عظمـ ـة ...
خزائني مفتوحة لك ... وإن كنت أظـ ـن أن هـ ـديتك الكبيرة هي حسن الذي فعلت من أجله كل هذا ...

هند – يكفينا أن نحس بالاطمئنان في رحابك يا مولاي ...

الوالي – (لحسن) اطلب ما تشاء يا بني.

حسن – أريد أن أحكي الرؤيا لمولاي ...

الوالي – وماذا سنفعل في المسـ ـاء؟ سنسـ ـمع إليـ ـك آنئـ ـذ.
(للوزير ومجموعته) انصـ ـرفوا. وغـ ـدا تقـ ـدمون للمحاكمة ...

النجار – يحيا العدل ... عشت وشفت الحكام يحاكمون

الوالي – (يصفق للحاجب) من اليوم سنبدأ عهـ ـدا جديـ ـدا
(يدخل الحاجب).

الحاجب – أمر مولاي.

(الحاجب هو نفسه مساعد مدير السجن والكاتـ ـب ووزيـ ـر الوزير يرتدي ملابس فاخرة ويسير متبخترا ... هند تلطم خديها وتجري بعيدا عن المسرح).

(ستار)

النهـ . . ـايـ . ـة